ديوان

شاعر الوطن الكبير

الفترتان الأولى والثانية

(من ١٩ - ١٩٢٥ م)

احمد رفيق المهدوي

١٨٩٨ - ١٩٦١



صفحة ليبيا تاريخ وثقافة على الفيسبوك



شاعر الوطن الكبير

أحمد رفيق المهدوي

الفترتان الاولى والثانية

« من ١٩ ـ ١٩٢٥م »

الطبعـة الاولـى

مقدمـــة

فى صيف ١٩٦١ (٦/٧/٦١) انتقل الى رحمة الله شاعر الوطن الكبير أحمد رفيق المهدوى فطويت بذلك صفحة ناصعة البياض وان بقيت آثارها شاهدة بما قدم الفقيد للوطن من مجهود فى سبيل توجيه المواطنين الى المثل الاعلى وهو التحرر أولا من ربقة الاستعباد ثم العدل على تثبيت دعـائم هـذا الاسـتقلال .

لم يقصر الشاعر فى هذا الواجب منذ بدأ قول الشعر وقد كانت له مصاولات مع بعض من كانوا يندرون بالمجاهدين زمن اقامة السيد أحمد الشريف فى السلوم فى أثناء الحرب العظمى الاولى ولعل أولى مقطوعاته الشعريةفىسبيل ذلك كانت القطعة التى لا نحفظ منها الا شيئا بسيطا وهو:

دعانى لأن جـردت عضـب لسانى
بهجـو وما لى بالهجـاء يـدان

تحشـد فيما ليس يعنيـه وحـده
فمـد علـى أهليـه غرب لسان

بأنـك يا ... اسـمك نـاطق
بفعلـك لا تضـطرنا لبيـان

ليس القصد من ذكر هذا بيان القيمة الفنية لهذه القطعة وانما الغرض تبيان أن الشاعر منذ نشأته كان يمثل دور الوطنى الاول وقد حاول منذ نشأته أن يضع نشيدا وطنيا لبلاده فقال (فيما حفظه بعض أصدقائه رحمهم الله جميعا وهما محمد على المغبوب وعبد الحفيظ وصفى الخازمى) :

نحن أهـل العـز أبنـاء الـوطن
نخـدم الامـة لا نبغـى ثمـن

نخـدم الامـة فى كل زمـن
ليس الا نحـن أهـل للـوطن

الى أن يقـول :

نحن أحـرار فـلا نـرضى امتهـان
انمـا تـرضى بـه نفس الجبـان

نحن للمسـتقبل الزاهى ضـمان
فـاذا لـم نحيـه نحـن فمن

ثـم يقـول :

وطن بالـروح منـا نفتديـه
ومـن السـوآت والذل نقيـه

قـد سـعدنا بنعيـم العيش فيـه
أفـلا نجـزيه اخلاصا حسـن

انـنا نجـزيه اخلاصا وجـود
وعن الأوطـان ما عشـنا نذود

ليس منـا من لـه قلب ركـود
فليمت بالجهل وليحيـا الـوطن

ويظهر أنه لم يستحسنه (وكان ذلك فى عام ١٩١٨م) ولذلك كانت لـه محاولات كثيرة خصوصا بعد عودته الى أرض الوطن وقد وجـدنا لـه محاولات ذكرنا منها فى صلب الديوان نشيدا وقطعا من نشيد آخر وثمت مطالع كثيرة لبعض الاناشيد الوطنية .

وعند ما انتصر مصطفى كمال على اليونان فى عام ١٩٢٢م كان لذلك رنة عظمى فى كافة البلاد الاسلامية وقامت المظاهرات فى كل مكان وفـى بنغازى كان له قيادة هذه المظاهرات ووضع لها نشيدا بدأه بقوله :

« صلوا يا أهل الكمال
على النبى باهى الجمال »

واسألوا المولى تعالى
ينصر الغازى كمال

الى آخر النشيد وهو طويل وكان يطوف الشوارع مع المتظاهرين ينشد النشيد ويردده معه المواطنون . والملاحظ أن رفيقا ـ طيب الله ثراه ـ كان يضع أناشيده وأشعاره وفق نغمات معروفة ومتداولة حتى ترسخ ويسهل انشادها ولهذا السبب كان يدخل بعض الالفاظ العامية فى شعره لا تظرفا ولا عجزا ولكن لان لها مدلولات خاصة يهمه أن تكون واضحة .

وقد ظنت الشعوب الاسلامية أن انتصار الكماليين كان احياء لما تبقى من خلافة آل عثمان ولكن لم يأت عام ١٩٢٤ حتى أعلن سقوط الخلافة العثمانية وقيام الجمهورية وحدث لذلك رد فعل شديد ظهر أثره واضحا فى شاعرنا رفيق وقد سجله فى قصيدة مطلعها :

لربك الأمر من ملك وسلطان
وما سواه فشىء زائل فان

لو دام ملك لانسان لدام لمن
تملك الأمر بين الانس والجان

وهكذا وهى طويلة يستعرض فيها سطوة الخلافة أيام عزها واستفادة الاتراك منها ويهجو الشريف حسين (ملك الحجاز) :

من ذا يعد حسينا من رجالتها الخ .

لكنها ليست تحت يدنا ولم نجدها عند من سألتهم عنها . أما شعره فى العهد الاخير أى بعد عودته الى بنغازى حيث مقر عائلته فهو الذى ذكر فى الفترات الثلاث من ٢٥ ـ ٦١م وهو غنى عن الوصف ولا نحب أن نبين

المزايا أو العيوب ونفضل أن نترك ذلك للدارسين للشاعر فى ظروفه المختلفة خوفا من أن يعتبر هذا التبيين ضربا من التوجيه .

لهذا اقتصرنا على ذكر آثار الفقيد النثرية والشعرية مع ذكر ترجمة موجزة للشاعر بخط يده عن حياته الاولى وهى كما ننشرها (بعد نقلها من النسخة الاصلية) .

بقى شىء عن نسبه وقد وجدنا نسخة خطية بقلم جد أبيه المرحوم الحاج محمد المهدوى المدفون بجامع الولى السيد على الوحيشى (قبلى سوق الظلام ببنغازى بشارع الوحيشى) خلاصتها :

بعد أن سرد نسب العائلة فلان بن فلان ... حتى وصل الى اسم أحد أجداده ذكر أن له امارة فى تقلمت بجنوب المغرب (الجزائر أو مراكش) ثم يمتد النسب حتى يصل الى ادريس الأصغر ثم الى الحسن السبط ثم يقول المرحوم الحاج محمد المهدوى هذا ونحن لا ندعى شرافة النسب ولا ننفيه والشريف من شرفه عمله !

والشاعر هو أحمد رفيق بن محمد أمين من كبار موظفى الحكومة العثمانية ابن الحاج أحمد المهدوى عميد بلدية بنغازى بن الحاج محمد المهدوى من أعيان البلاد وكبار تجارها (وهو صاحب النسب الذى ذكرنا خلاصته). ونأسف لأن النسخة الأصلية للنسب كانت عند المرحوم حسين المهدوى شقيق الشاعر وقد توفى عام ١٩٧٠م فى تركيا ولذلك صعب علينا الحصول عليها ولكن ما ذكرناه هو ما تضمنته النسخة . وهذه ترجمته الشخصية بقلمـــــه .

وقد ولد فى فساطو سنة ١٨٩٨م الموافق سنة ١٣١٨ هجرية فى شهر يناير فى ليلة شاتية ذات برق ورعود وأمطار . ثم انتقل والده الى قائمقامية نالوت فمكث فيها سبع سنين وشهورا قرأ فيها القرآن ولم يعاود حفظه . ثـم انتقل الى مصراته ودخل المدارس التركية وكان يتلقى دروسا بالفرنسية فى مدرسة خصوصية يديرها الاستاذ المنقودى ثم انتقل الى الزاويـة الغربية وفيها حصل على الشهادة الابتدائية بالتركية والعربية ثم دخـل

المدرسة الاعدادية بمدينة طرابلس وقبل مباشرة الدروس وقع الاحتلال الايطالي فظل سنتين سافر بعدها مع سائر أفراد العائلة الى الاسكندرية والتحق بمدرسة الفرير ثم قبل انتهاء سنة انتقل الى المدرسة العزيزية الابتدائية برأس التين وتحصل على الشهادة ولم يتمكن من دخول المدرسة الثانوية بالجمعية الخيرية بالمجان حيث قبل أخوه والتحق هو بالمعهد العلمى بالاسكندرية فحضر فى السنة السادسة والسابعة دروس التفسير والحديث والعربية والبلاغة لمدة سنتين ثم التحق بمدرسة الجمعية الخيرية ودرس فيها سنتين وقبل امتحان البكالوريا اضطر الى العودة الى بنغازى مع العائلة فتوظف سكرتيرا عربيا ببلدية بنغازى وعند ظهور الفاشيست طرد من البلدية فهاجر الى تركية التى كان والده مقيما بها واشتغل بالتجارة الى سنة ١٩٣٤ حيث عاد الى بنغازى وأقام بها مدة نفى بعدها من الوطن فرجع الى تركيا وتوظف بالجمرك باسطنبول الى سنة ١٩٣٩ • ثم انتقل الى أدنه وتوظف فى بلديتها مأمورا للاستملاك بدائرة الفن المعمارى الى سنة ١٩٤٥ عاد فى آخرها الى الوطن ولم يقبل أى وظيفة مع تكليفه بها مرارا لاشتغاله بالقيام بمصالح أقاربه وادارة شئون أملاكهم •

أما الاسباب التى أثرت فيه حتى قال الشعر فالسبب الاول والاغلب أن لترانيم والدتى حينما كانت تنيمنى وأنا صغير لها تأثير فى روحى لانى ما زلت أذكر عذوبة صوتها وكلامها الموزون على حركة الارجوحة • والسبب الثانى الذى أنطقنى بأول شعر هو الذى ذكرته بعد ثلاثين سنة فى قصيدتى (مبدأ الحب) وكان المحبب لى الشعر والمشجع لى عليه هو أستاذى الشيخ محمد رضوان الشويهدى وقد كان هو أيضا شاعرا رحمه الله وما عدا ذلك فلا منة لاحد علىّ • وكان الحافز لى على الاستمرار على قول الشعر هو حبى للادب واجتهادى بنفسى بكثرة المطالعة وحفظ الجيد من الشعر ودرس دواوين كبار الشعراء •

بقى شىء من شعر رفيق لم ينشر والسبب فى ذلك هو أننا لا ننشر الا ما يتحقق لدينا من شعره •

أما طريقة تحقيق شعر الشاعر بنسبته له فهي :

١ ــ ما نشر فى الجرائد السيارة فى ذلك الوقت فى حياة الشاعر وعــدم اعتراض الشاعر على ما نشر دليل على صحته خصوصا ما نشر فــى جريدة الوطن فهذه كانت تحت تصرف الشاعر ولا ينشر من قصائده شيء فيها الا بعد موافقته لانه رحمه الله كان يخشى مــن تغيير أى شيء فى قصيدته بدون اذنه .

٢ ــ ما وجد بخط يده ولم ينشر وهذا تحقيقه يتطلب :

(أ) أن يكون بخط يده .

(ب) أن يذكر من لازم الشاعر وعد من رواة شعره أنه من شــعر رفيق والا فهو موضع شك ومع تصديق الراوى فى قوله الا أنــه يشــترط علم غيره بذلك ممن يعــرف أنهــم يهتمــون بشــعر رفيق .

وقد ذكرنا فى الفترة الثالثة الطريقة التى اتبعناها فى ترتيب الديوان وقسمناها الى خمس فترات .

الاولى : وتبتدىء من قوله الشعر عام ١٩١٨ أو ١٩١٧ تقريبا حتى عــام ١٩٢١ وهو عام عودته الى بنغازى .

الثانية : وتبتدىء من عام ١٩٢١ حتى عــام ١٩٢٥ حيث غــادر بنغازى الى تركيا .

الثالثة : وتبتدىء من عام ١٩٢٥ حتى عام ١٩٤٦ وهذه الفترة كانت موزعة بين بنغازى وتركيا ولكن الصلة لم تنقطع بينهما لذلك اعتبرناهــا فتــرة واحــدة .

الرابعة : وتبتدىء من ١٩٤٦ حتى ١٩٥٢ وهى بداية الاستقلال .

الخامسة : وتبتدىء من عام ١٩٥٢ حتى عام ١٩٦١ وهى وفــاة الشاعر فى ١٩٦١/٧/٦ .

ونرجو أن نكون قد أدينا جزءا مما علينا لشاعرنا الفذ الذى عــاش ولم يمدح المستعمر بكلمة بل ولم يسلك المديح الا لأصدقائه :

انى لأمــدح أحبابى لحبهــم .

الفهـــرس

الحـــظ

عن نسخة خطية اشرف على كتابتها الشاعر رفيق

العم عيسى [1] رجل أدركته حرفة الادب فقدر عليه رزقه لفرط ذكائه ، ولكن مع ما يقاسى من قلة ذات يده فهو ممن يحسبهم الجاهل أغنياء مـن التعفف ، لا يشتكى حالا ولا يظهر حاجة لاحد ، ولا تلقاه الا باسما ولا يحادثك الا ضاحكا ، يمزج حديثه بالنوادر والحكايات المضحكة ، ولـه فى التورية براعة فائقة فهو لا يجاوب على السؤال الا بجوابين :
أحدهما وهو الظاهر تستره القهقهة والآخر الذى يقصده تفضحه غمـزة احدى عينيه النضاختين .

ولخفة روحه كنت أكثر من ممازحته وأقصد مناوأته بما ألقى عليه من الاسئلة المعجزة فيأتى على البديهة بالنوادر العجيبة والنكت الظريفة .
رأيته يوما وقد جلس على صخرة بشاطىء البحر منفردا فلما رآنـى أشار الى من بعيد فقصدته وأخذت أفكر فيما يحرجه من الاسئلة ، فما وصلته حتى وجدت له ما ظننت أنى أفحمه به وأغضبه .

سلمت وجلست اليه ـ قال ما جاء بك الى هنا ؟ قلت : رؤيا رأيتها البارحة تركتنى منذ الصباح أفكر فى تعبيرها فما اهتديت ، وما شعرت الا وأنا أسير هنا على غير قصد ـ وأنت ما الذى جـاء بك الى هنـا ؟ ... قـال مـازحا :
جئت أنتظرك لاعبر لك رؤياك ـ أما تعلم أنى من ذرية ابن سيرين ؟ ... هاتها ان لم تكن كرؤيا ابراهيم لاسماعيل . قلت :

---

1 ـ العم عيسى كان من أعز أصدقاء الشاعر ، وكان رحمه الله كما يصفه رفيق امتاز بتخصصه فى علم الفرائض . وهو عيسى ابن المرحوم الشيخ محمد بن عامر مفتى بنغازى ثم قاضيها ولد عام ١٨٩٦ م وتوفى عام ١٩٦٥ م

رأيت البارحة (وكاد يفضحنى الضحك فأطرقت كـأنى اسـتحضر الرؤيا حتى ملكت ارادتى) ثم استمريت أقص رؤياى — نعم

رأيت بحرا لجيا يضطرب موجه — وهناك جزيرة فيها جبل عال — وحول الجزيرة مئات الالوف من الناس غرقى يطلبون النجاة — فمنهم من يقضى قبل الوصول ، ومنهم من يصل بعد الجهد — وهناك شيخ أعمـى ذكرت به أبا العلاء المعرى نحيف طوال القامة أبيض اللحية — يمد يـده فيخرج بعض من صادفت يده من غير تعيين ، ويركل برجله بعض الذين وصلوا بجهد وعناء فيرسله الى قاع البحر ثانية وهذا دأبه — ورأيت الذين خاصوا الى الجزيرة كلهم يطلب ذروة ذلك الجبل وفيها جنة عالية تستهوى النفوس فتسحب القلوب بالعيون — ورأيت الذين يصلون الى تلك القمة يستطون من الناحية الاخرى الى البحر وهكذا دواليك : والبعض مـكث فى السفح ينظر الى الغرقى بهزوء والى الصاعدين بتشوق وحسد

وقفت متحيرا أنظر الى ذلك الشيخ دائبا فى عمله والناس كذلك فى حركة لا فتور فيها ولا سكون . وسألت واحدا عن هذه الجزيرة وهؤلاء الناس وهذا الشيخ من يكون ؟ ... فقال لى :

أنت نائـم !!! فاسـتيقظ واسـأل المفكـرين — وفتحت عينـى والمـؤذن يقول :

« الصـلاة خير من النوم »

تبسم صـاحبنا وقال :

ان هذه لرؤيا عجيبة تمثل ناحية مما نشاهد فى الحياة كل يوم — وقد ألهمت تعبيرها قبل أن تتم سردها . فقلت مستهزئا أكتم ضحكى مـن انطلاء حيلتى عليه :

اسمعنى يا أبا سيرين .

(ولم يخف عليه التهكم فى قولى يا أبا سيرين) • ولكنه قال وعليه علائم الجـد :

أما البحر المضطرب فذلك مثل الحياة المملوءة بحوادث لا تهـدأ — وأما الجزيرة والجبل فيها فذلك مثل غاية الناس من الحياة والجبل يمثل العلو فى الحياة وأقصى درجات المجد والرفعة — وأما أولئك الغرقى فذلك مثل الناس فى معترك الحياة — منهم من يموت فى حسراته ومنهم من يصل الى نصيب من الحياة بعد الجد والاجتهاد — وأما الشيخ الاعمى الـذى يحسن بغير قصد ويسىء بعمد فذلك مثل « الحظ » اذا مد يده لاحـد أنقذه من ذلك العراك وبلغه ساحل السلامة وبحبوحة الراحة — وأما الذين يركلهم برجله فأولئك التعساء الذين لا حظ لهم فهم رغم سعيهم واجتهادهم اذا وصلوا أو كادوا يصلون الى غاية قعد بهم أو ضربهم برجله فرماهـم الى الحضيض — والذين نجوا الى الجزيرة ورأيتهم يطلبون ذروة الجبل — فذلك مثل المحظوظين من الناس : منهم من قنع بمتوسط المجد فظل فـى سفح الجبل يحتقر من دونه ويحسد من فوقه فى الجاه والمكانة — والذين رأيتهم يسقطون من أعلى الجبل فذلك مثل الذين بلغوا الغاية من مرادهم وأدركوا النهاية فلا بد لهم من السقوط — ثم قال :

وتشبيهك ذلك الشيخ بأبى العلاء المعرى ذكرت قوله :

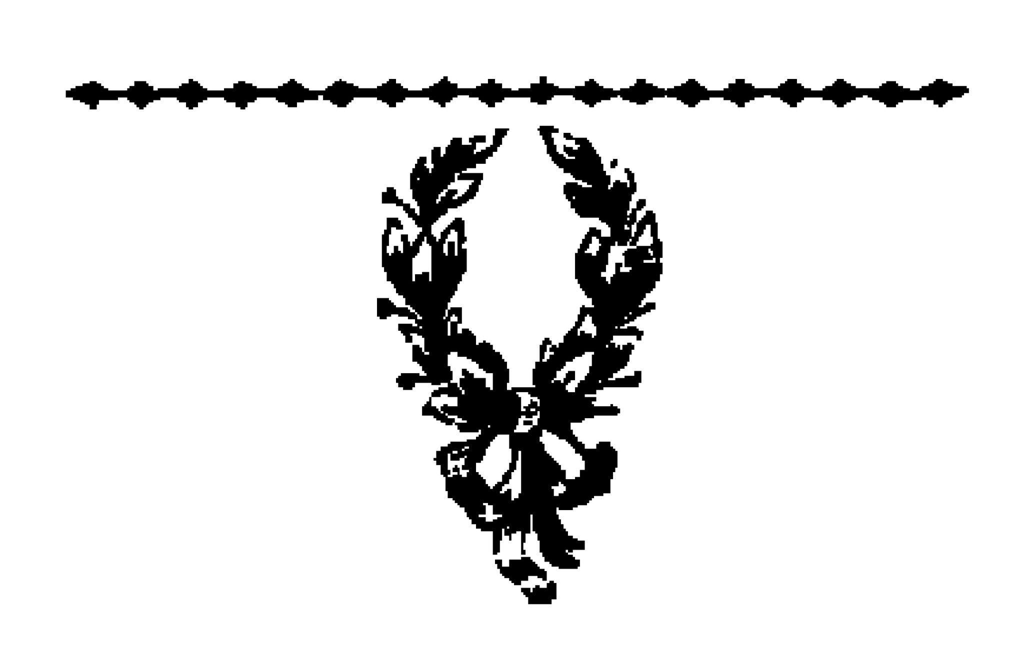
وان كنت تبغ العـز فابـغ توسـطا
فعند التنـاهى يقصر المتطـاول

توقـى البـدور النقص وهى أهلـة
ويدركها النقصـان وهـى كوامـل

عند ذلك فاجأته بالحقيقة وانى انما اختلقت هذه الرؤيا لاعجزه ، وأنه فى الحقيقة جاء بتعبير عجيب وأمر غريب • وقلت :

لله درك جعلت هزلنا جدا وتركتنا عوضا من أن نلهو ونمزح نفكر ونعتبر . وما أعجب من شيء عجبي من تشبيهك الاعمى بالحظ كأنك توافق ابن الرومي في وصفه الحظ بالاعمى في قوله يهجو البحتري من قصيدة :

الحظ أعمى ولولا ذاك لم نره
للبحتري بلا عقل ولا أدب



السعادة

ليبيا المصورة ــ العدد الثانى ــ السنة الاولى نوفمبر ١٩٣٥

لو سئل الناس عن حقيقتها ما اتفق اثنان فى مفهومها •

كل يراها بعين الامانى التى يصورها هواه •

قد يكون مفهوم السعادة عند البعض هو الشقاء عند البعض الآخر ،

والكل يدعى أنه يفهم السعادة فمن المصيب ؟

ليس لها حقيقة محدودة ، فهى اذا باطل حقيقى •

لو أن لها فى الحياة وجودا ما تقرر وجودها فى الآخرة •

الامل فى نيل سعادة الآخرة يوجب الايمان بالبعث •

كثير من الناس لا يعبدون الله الا طمعا فى سعادة الآخرة •

الجاهل للفظة السعادة أسعد من العالم بمعناها •

اذا كانت السعادة راحة ، فطلبها تعب ، فعدم طلبها اذا هو السعادة •

الفقير يرى أن الغنى سعيد ، فاذا رأى الغنى نفسه غير سعيد ، فمن السعيد ؟

هذه الكلمات من تأملات حامت حول معنى السعادة جعلتها (نوطة) لانظمها فى قصيدة بعنوان السعادة عند نشاط القريحة ولكنها ما زالت خاملة ــ ولا أحب اكراهها ــ فهل من أديب يكفينى عناء نظمها ولــه الشكر من الآن •

قم وقف .. في شعر شوقي

ليبيا المصورة ـ العدد التاسع ـ السنة الاولى ٤ يونيو ١٩٣٦

بينما كنت أتصفح فهرس ديوان شوقي بك انتهيت الى أن عدة من قصائده مطلعها قم وقف وزاد انتباهي قصيدته (على قبر نابوليون) التي مطلعها : (قف على كنز بباريس دفين) اذ يقول في صدر أول بيت من الفصل الثامن (قم الى الاهرام واخشع واطرح) ، ويقول في عجز البيت من الفصل التاسع : (قم تأمل كيف صادتك المنون) وفي البيت الذي يلي هذا (قم تر الدنيا كما غادرتها) فرأيته كرر هذا الفعل في قصيدة أربع مرات فعزمت على احصاء هذا النوع في شعره فوجدته يكرره كثيرا حتى أني أحصيت له عشرين مطلعا في عشرة منها قم وفي عشرة قف .

ثم رأيته يستعمل هذا النوع في بعض فصول القصائد فعددته فاذا هو يستعمله أحد عشر مرة .

والفصول في نظره وان لم تكن مطالع الا أنها مثل المطالع حيث بانتهاء الفصل يستأنف الشاعر الكلام من جديد ، فبعد ما يتم الشاعر فصلا من القصيدة ويضمنه ما أراد من معنى يشعر ببعض الارتياح ويهدأ ما جاش من شاعريته لتخلصها من جزء من المعاني ثم يهم بنفث الباقي من المعاني التي تجول في قريحته لانه لا يرتاح الا بالتخلص منها بتقييدها في وزن وقافية فاذا تم له ذلك استأنف العمل من جديد فكأنه وهو يبتدىء الفصل يبتدىء المطلع أو يعاوده النشاط الروحي الذي ابتدأ به المطلع

فيجيء الفصل متأثرا بالشعور الذى أنشأ المطلع . وهذا ما جعل شوقى يذكر قم أو قف فى أحد عشر فصلا ، لانه صار من عادته عندما يبتدىء النظم تسبق هذه الكلمات من غير ارادته فى المطلع فصارت تسبقه فى الفصل أيضا من غير ارادته . وأقول من غير ارادته لان الانسان يأتى العادة من غير ارادته والا فلماذا يستعملها أثناء القصائد ثلاثا وعشرين مرة كما سنبينه فى الشواهد ! وهذا القدر فى دواوينه الثلاثة ولا أعلم كم استعملها فى روايتى مجنون ليلى وكيلوبترة وفى باقى شعره اذ لم أفحصه لهذا القصد .

ولا أريد باستقصائى هذا وتتبعى مؤاخذة شوقى أو انتقاصه ، فليس فى استعماله هذه الكلمات عيب أو خطأ لا فى اللفظ ولا فى المعنى الا أنه شيء تأثرت به نفسه فأكثر منه فاسترعى نظرى بل جعلنى أفكر ما سبب تأثره واستعماله لكلمة قم أو قف فأقول أتراه كان متأثرا (بقفانبك) أو (قف بالديار التى لم يبلها القدم) أو (وقفت بها من بعد عشرين حجة) ومثل ذلك من وقوف قدماء الشعراء على الاطلال واستوقافهم على عادتهم . أم أثر فى روحه معاشرته الامراء والكبراء الذين كان يقف لاحترامهم كما كان يقف غيره لاحترامه هو أيضا فصار للوقوف والقيام فى نفسه أثر جعله يكثر من ذكره فى شعره ؟ ذلك من خصوصيات علماء النفس . أما نحن فلا نستطيع معرفة المؤثر فنكتفى بالاثر نحلله .

يستعمل أمير الشعراء قم أو قف ويتبعها بفعل أمر ثان وأحيانا بثالث فأكثر ما يستعمل قم تأمل . قم انظر قم تمهل . قم تر . قم حى . قفى خبرينا . قف وشاهد وغير ذلك مما ستراه فى الابيات التى سنعرضها عليك . قلت ليس فى استعمال شوقى لهذه الكلمات ما يعيبه لانها صارت له عادة فلو نبهه أحد الى كثرة استعماله لها ما كان ليقلع عنها لانه يأتيها من غير ارادة وبغير تكلف كالكلمات التى يستعملها أكثر الناس أثناء كلامهم مثل « نعم ايه وفهمت أى نعم وفهمت والا لا وعرفت ياسى » وما أشبه ذلك وقد تكون جملة طويلة ولكن المتعود يأتى بها بكل خفة ومن

غير تكلف . وقد تكون مما يضحك السامعين ويخجل قائلها ومع ذلك لا يمكنه الاقلاع عنها ويصمم على تركها فيغلبه التعود وهذه العادة أعنى الاستعانة بكلمة على استئناف الكلام أكثر ما ترى فى المدرسين والـذين يسهبون فى مواضيع طويلة فالكلمة التى يعتادها الانسان تكون بمثـابة حافز للكلام أو جالب لما فى الذاكرة يستعين بها المتكلم لحظة قصيرة من الزمن يستجمع فيها الهمة لاتصال الكلام ومن هذا القبيل ما يكون تحنحة أو سعالا حسب مااعتاد الانسان من عادة قاهرة .

و « كل ابن آدم مقهـور بعـادات
لهن ينقاد فى وسط الجماعات» (الرصافى)

وانـى أجمل اسـتعمال شـوقى لهـذه الـكلمات على التعود لانهـا ليست معنى مكررا يمكن تقليب صوره الى معان أخرى وفى مواضـيع متباينة مثل تكريره لاسم عيسى فى أغلب قصائده بلفظ المسيح أو بلفظ ابن البتول أو شافى العمى . أو بتكريره الاخلاق فى كل مناسبة فذلك قد يكون من التوليد أو التفنن فى اظهار المعنى الواحد فى صور شتى كل منها فيها فائدة ليست فى غيرها . أما قوله قم أو قف فيستعمله دائما على خطة واحدة من القول .

ولنأت بعد هذا بالشواهد من شعره على ما ذكرنا من كثرة استعماله قم وقف ونبدأ أولا بالمطلع ثم بالفصول ثم بما جاء فى القصائد تاركا الحكم فى تحبيذ أو نقد استعماله لهذه الكلمات الى الادباء المبرزين وأكون بمثابة كاتب القاضى يجمع كل ما يتعلق بالقضية بدقـة واسـتقصاء ويسـلمه بأمانـة للحـاكم .

فمما جاء فى مطالع قصائده العشرين :

قـم حـى هـذى النيرات
قف نـاج أهـرام الجلال وناد
قـم فى فـم الدنيا وحى الازهرا

قم ناد أنقرة وقل يهنيك

قم للمعلم وفه التبجيلا

قف بالممالك وانظر دولة المال

العام أقبل قم نحى هلالا

قف بطوكيو وطف على يوكو هامه

قم سليمان بساط الريح قاما

قم ناج جلق وانشد رسم من بانوا
قف باللواحظ عند حدك

قم سابق الساعة واسبق وعدها
قف بهذا البحر وانظر ما غبر

قفوا بالقبور نسائل عمر
قم اليوم فسر للورى آية الموت

ومما جاء فى الفصول قوله :

قم فما حل قبلك اليوم فرقد

قم للهلال قيام محتفل به

شهيد الحق قم تره يتيما

قم على الاهرام واخشع واطرح

قم تأمل كيف صادتك المنون

قم يا خطيب الجمع هات من الحلى

أيها الدرويش قم بث الجوى

قم تأمل بنيك فى الشرق زين التاج

قم تحـــدث ايـا علـى اليـنـــا

قـــم داو فيك فــؤادك المحزون

رحمــاك يوسف قف ركابك ســاعة

ومما جــاء أثنــاء القصائد :

قم قبل الاحجـار والايـدى التـى

قف ســــائل النحـل بــــه

قف علـى أثـر من الزمـا نبــه

قــم تر الدنيــا كمــا غــادرتها

وقفى الهــودج فينــا ســـاعة

يا موكب العلم قف فى أرض منف به

قف تـأمل مصــارع القوم وانظــر

قم فى صــفوف الحــق تلق كتيبــة

قــم صــف الخلد لنــا فى ملكــــه

قـــم تـــأمل هـــذه الـــدار

وفـــى عثمــان قـــم تـــر آيـــة

قـــم حـــى ولدان الجنـــان وحورها

قـــم فحـــدث عن السنين الخوالى

قم انظر وأنت المالىء الارض حكمة

قـــم ان اســطعت من سريرك وانظر

قـــم تـــر القـــوم كتلـــة

وقـم تجـد القرون مررن سـاعا

قـم ابن الامهات علـى أسـاس

فقف على أهلـه واطلب جواهره

وقفـوا سـاعة به فى ثرى الاقمـار

قـم أبـا نواس انظـر النشـب

قف بتلك القصور فى اليم غرقى

فقم الى النيل واهتف فى خمائله

ثـم تـأمل فـى علـو قبـه

قـم نبن بنتـؤر مادهـا

هذا ما عثرت عليه أثناء مراجعتى لشعر شوقى بك أعرضه على الادباء على سبيل البحث والتدقيق لا أريد به غضا ولا ميلا لهوى بل خدمة للادب والادباء .



الوزن والقافية

ليبيا المصورة ـ عدد ١٠ ـ السنة الاولى ـ يوليو ١٩٣٦

لا أعتقد أن لشعر من غير وزن وقعا فى نفس السامع مهما كان ذلك الشعر بليغا ، ومهما بلغت قيمة معانيه اذ أن للوزن رنة فى النفس تزيد المعنى روعة وجمالا لا يفطن لهما كثير ممن يطالب بنبذ القديم وترك الوزن خاصة والقافية التى جعلوها السبب فى عرقلة سير الشعر العربى ٠

أما عدم التزام القافية الواحدة فى القصيدة فتلك مسألة أميل اليها بعض الميل وسبق لى النسيج على منوالها فى رثاء الزهاوى ٠ وأما ترك الوزن واستعمال الاوزان المتعددة فى قصيدة واحدة كما نشاهد من بعض المجددين فى (الرسالة) وغيرها فذلك عندى يذهب برونق القصيدة وعلى الاقل يوجب الخلل لوحدتها ولا أقول من حيث المعنى بل من حيث الموسيقية التى لا نجدها فى غير الشعر العربى ٠

العجيب ممن يطالب بالغاء الوزن والاكتفاء بالمعنى فهو لا شك لم يذق لذة النقرات الموسيقية الموزونة وأعجب من ذلك أنهم يضربون لنا الامثال بالشعر الافرنجى وغير العربى وأحسبهم يظنون أن الشعر غير العربى غير موزون ويظهر لهم كذلك لان وزنه لم يكن كوزن الشعر العربى والحقيقة أن الشعر الفرنجى وغيره كله موزون معروف وان لم تكن تلك الحروف مطابقة للموزون فى التقطيع وفى الحركة والسكون وتكرير الحرف المشدد كما فى الشعر العربى ٠

لدى كثير من الشعر التركى مقطع على التفاعيل العربية وبالطريقة الخليلية أعرض منه على سبيل المثال ما يأتى على وزن : فاعلاتن مفاعلن فعلن قولهم :

عمـرى يهـــودى اتحيـــوب

اده لـم التـزام سـعى وعمل

وعلى وزن مفاعلين مفاعلين فعولهن قولهم :

نـه خبـرت بخشـدر صفك الهى

نه قدر تـدر ايدن ايجاد وايفـاد

ســموات وزمينى مهر وما هــى

وأكتفى بهذا القدر القليل الذى يمجه الذوق العربى ويمله القارىء الذى لا يعرف التركية وانى عند ما أقرأ هذا الشعر التركى لا أجد ذلـك الرونق الذى فى الشعر ولا أجد تلك النغمة التى أعرفها حتى أنى أجـد التفاعيل عربية وموافقة لبحر من بحور شعرنا فأحاول قراءته كما تعودت فلا يجرى مع الوزن ولا تظهر تلك النغمة التى تعودتها من وزن ذلـك البحر فظهر بذلك أن لوزن الشعر العربى خاصة أخرى تذهب برونقه اذا قلدنا فيه الشعر الاعجمى فى الوزن دون الموسيقى فـكيف الحـال فـى الغاء الوزن بالمرة ؟

وأظن أن أئمتنا المجددين يحاولون شيئا فى تجديد الشعر العربـى ولم يظهر لهم وجه التجديد فأنحوا على الوزن حتى قال بعضهم بنبـذه بتاتا وقد بينت عدم رضائى بذلك ويوافقنى على رأيى هذا كثير ممن ربما يعدهم البعض من المحافظين على القديم وما ذلـك الا لالتباس الامـر بين الفـريقين .

وسأبين رأيى والحق أقول انى على وجل مما أقدم عليه ولـكن لا أرى بدا من عرضه على الجمهور طالبا منهم الرأى فى الموضوع وليحسبونى محاولا الوصول الى غاية لا أدعى أنى فرغت منها وجئت أقررها علـى

الناس ولكن أجد فيما سأعرض بعض التوسع فى أوزان الشعر أرجو أن يكون بابا لفتح فيه نجاح القصد .

فى اعتقادى أننا لو استمرينا ندور فى دائرة أوزان الشعر العربى التى حصرها الخليل فى ٦٧ وزنا وضيقها أو وسعها اسماعيل بن حماد الجوهرى ومن بعده ثم اتفق الكل على حصرها فى ستة عشر بحرا ، لبقينا ستة عشر قرنا ندور دوران جمل الطاحون ، بل لن نخرج من تلك الدائرة حتـى تقوم الدائرة الكبرى وقد أعلنت شكايتى سابقا من تلك القيود بهـذه الابيـات :

سـئمت أنفسـنا حتـى متـى
نعبـد الشـعر على حـرف الـرياء
نـال منـا للقـوافى قفص
كلنـا فيـه شـبيه الببغاء
قـادة التجـديد لـم يبدو لنا
مثـلا يرضـونه للاقتـداء

أليس من الجمود ألا نخرج عن حروف التقطيع التى تجمعها جملـة (لمعت سيوفنا) وأن نظل مربوطين فى أوتاد مفروقة أو مجموعة وأسباب وفواصل لا تنفصل عن قولهم (لم أر على ظهر جبل سمكة) حتى يعيش السمك على ظهر الجبال .

يقول ابن خلدون فى المقدمة « ويراعى فيه ـ أى فى الشعر ـ اتفاق القصيدة كلها فى الوزن الواحد حذرا من أن يتساهل الطبع فى الخروج من وزن الى وزن يقاربه فقد يخفى ذلك من أجل المقاربة على كثير مـن الناس ، ولهذه الموازين شروط وأحكام تضمنها علم العروض وليس كل وزن يتفوق فى الطبع استعملته العرب فى هذا الفن وانمـا هـى أوزان

مخصوصة تسميها أهل تلك الصناعة البحور وقد حصروها فى خمسة هذا رأى ابن خلدون وهو وان لم يكن معدودا فى الادباء الا أنه ينقل رأيهم واجماعهم •

وأما ابن رشيق فانه يقول فى تحديد الشعر وبنيته فى كتاب «العمدة»

البنية من أربعة أشياء وهي اللفظ والوزن والمعنى والقافية فهذا هو حد الشعر لان من الكلام ما هو موزون مقفى وليس بشعر لعدم الصنعة والبنية كأشياء اتزنت من القرآن وكلام النبى صلى الله عليه وسلم مما لم يطلق عليه أنه شعر والمتزن ما عرض على الوزن فقبله فكأن العقل صار له ولهذه العلة سمى ما جرى هذا المجرى من الافعال فعل مطاوعة هذا هو الصحيح • ويقول بعد قليل • « وانما جئت بهذا الفصل احتجاجا على من زعم أن المتزن غير داخل فى الوزن واذا لم يعرض المتزن على الوزن فوجد موزونا فمن أين يعلم أنه متزن وكيف يقع عليه هنا الاسم » ثم يخرج الى ما يخالف موضوعنا الذى هو قبول المتزن من الكلام والتوسع فيه وعده شعرا بشرط المحافظة على اللغة الفصحى والقواعد النحوية ويخرج بذلك الازجال والموشحات العامية « والقوما » و « كان كان » و « دوبيت » وما أشبه ذلك من الاشعار اليدوية المختلفة باختلاف الاقطار فانها لخروجها عن اللغة والنحو تخالف شرطنا وان كان البعض منها له أوزان يلتذ بها الذوق وتطمئن لها النفس • نرى شعراء العرب قبل أن يخلق الخليل وقبل « مستفعلن فاعلن فعول » وحتى فى ابتداء تأليف علم العروض بل وبعده بزمن كان منهم من ينظم الشعر بأوزان تخرج بعض الاحيان عن الحدود والقيود التى وضعها سادتنا العروضيون فكانوا يعدون خروجهم عيبا ويؤلفون لعيوب القوافى أسماء تحير العقول فى كيفية اشتقاقهم لها ووضعها على وزن أسماء ألحان فى الاساطير وتسامحوا من البعض وجوزوا البعض وأنكروا الاكثر كل ذلك لخروج الشاعر من الوزن الذى نزل به الجان والشيصبان على الخليل الفراهيدى •

ولكن المتأخرين تفضلوا بالرضا عن « بهاء الدين زهير » فى خروجه على دائرتهم المحدودة لنظمه وأريد أن أقول لنظمه فى نغمة جديدة لم يعرفوها قبله فقالوا انه أول من نظم فى النوع والعجيب أنهم سرعان ما وجدوا له اسما فسموه مجزوء الرمل أو مشطوره أو مكسوره لا أدرى ٠ وسواء أنظم البهاء زهير فى مجزوء الرمل أو مجموع الحجر فقد خرج على كل حال عن حدودهم ولم يتقيد بقيودهم وجاء بشعر يكفى أن تسمع منه قوله :

يا من لعبت به شمول
ما ألطف هذه الشمائل

نشوان يهزه دلال
كالغصن مع النسيم مائل

مولاى يحق لى بأنى
من مثلك فى الهوى أقاتل

فانظر الى دقة هذه الابيات ولذة موسيقاها فى السمع وحلاوتها فى النفس وأرجو ألا ترقص طربا لئلا يراك العروضيون ولكن لا تخف فسأزيدك مع البهاء زهير أهل الاندلس فان شئت فاشطح على نغمات رقيق أشعارهم وموشحاتهم يصفق لك الذوق وتغنيك الموسيقى ولا تبال بمن أخذوا علمهم عن نقرات الصفارين والحسادين والشعر موجود علمهم ألم تر أن كثيرا من الاوزان لا يستعملها أحد فى زماننا هذا وتحسب علينا عدوانا وهى أوزان رضيها العروضيون واستعملها العرب ونظموا فيها ولكن ذوقنا الآن يمجها ولا نرى أحدا من شعراء عصرنا يميل اليها منها هذه الاوزان :

ليت شعرى هل ثم هل آتينهم
أم يحولن من دون ذاك الردى

جـاءنا عـامر سـالما صـالحا
بعـد مـا كان ، مـا كان ، من عامر

مـاذا وقـوف علـى ربـع عفـا
مخلـوق دارس مسـتعجم

سـيروا معـا انمـا ميعـادكم
يـوم الثـلاثاء ببطن الـوادى

فأين النغمة الشعرية فى هذه الابيات تأمل فيها وفيما سنعرضه عليك من موشحات أهل الاندلس :

قالوا ان أول من أحدث فنا من الشعر أسموه الموشحات هو مقدم ابن معافر الفزارى وحذا حذوه عبادة القزاز ثم الاعمى الطليطلى ثم يحى ابن بقى . وأكثر الشعراء من هذا الفن وانتشر بالاندلس ولكن ــ مع الاسف ــ كان أكثر هؤلاء الشعراء يستعملون الكلمات العامية ويتساهلون فى القواعد وأكثر ما يخل بشعرهم تسكين بعض الكلمات التى لا يجوز تسكينها أثناء الكلام لضرورة الوزن مما أدى الى عدم انتشار شعرهم كغيره من الشعر فى الاقطار العربية .

وانتشر فى بلادهم أكثر من غيرها لموافقته للهجاتهم ومألوفهم من الكلام العامى ولكننا مع ذلك لا ننسى الجيد من شعرهم وموشحاتهم مثل قول ابن بهرودس :

يا ليلـة الوصـل والسعود
باللـه عـودى

أو قـول ابن موهل :

مـا العيـد فى حلـة وطـوق
وشـم طـيب

وانما العيد في التلاقي
مع الحبيب

أو قول ابن زهير :

كحل الدجى يجرى
من مقلة النهر
على الصباح

ومعصم النهر
في حلل خضر
من البطاح

وانتشرت هذه اللطائف وأمثالها الى أن ظهرت موشحة ابن سهل شاعر اشبيلية التى مطلعها :

هل درى ظبى الحمى أن قد حمى
قلب صب حله عن مكنس

فهو فى حر وخفق مثل ما
لعبت ريح الصبا بالقبس

وعلى منوالها نسج ابن الخطيب موشحته المشهورة التى مطلعها :
جادك الغيث اذا الغيث همى

يا زمان الوصل بالاندلس
لم يكن وصلك الا حلما

فى الكرى أو خلسة المختلس

هذه شواهد قليلة من كثيرة يعرفها كل من احترف الادب أتيت بها ادلاء لمرادى وان كان أكثرها على وزن شعرى صحيح خلاف الازجال الا أنى أقصد بها اظهار ما كان عليه الاندلسيون من الاسراع الى التجديد بين

مقبول ومردود فقل لى ماذا جددنا بعد أولئك المغاربة ألم نعد الى مثل شعر الحطيئة والسليك قبل شوقى بقليل من الزمن ؟

ولقد أطلت القول فى غير الصدد وصرفت كثيرا من الخواطر التى كانت تزدحم بفكرى أثناء الكتابة خوف الزيادة التى هى كالنقص . والآن ألخص مرادى فى كلمات قليلة ثم أعقبها بالمقال الذى كتبت من أجله هذا المقال فأقول :

نريد أن نتوسع فى أوزان الشعر التى عرفناها باحداث أوزان على نغمات الشعر أو غيره من الكلام المتزن على رأى ابن رشيق ، ونسميه شعرا ونقيد تلك النغمات بقيود أوسع من قيود (لمت سيوفنا) ويشترط أن يكون الكلام الموزون تابعا للغة الفصحى والقواعد العربية الصحيحة ويكون عروضيو عصرنا موسيقيين بارعين يخترعون لنا عروضا وقواعد نزن بها شعرنا بغير ميزاننا القديم .

وأختم بعرض المثال الذى ذكرته فان رأيت قبوله عرضت غيره مما كان يجول فى فكرى ولا أجسر على اظهاره ، والا جعلته بيضة الديك ووزن هذا المثال من أبيات تركية بتصرف فى زيادة نغماته الموسيقية الاعتماد فى وزنها على الطبع لا على ميزان معروف .

أما القصيدة فعنوانها : قلب الشاعر والجمال

ومطلعها : كالنحلة فى الروضة تعبث بالنوار

لا يفتأ حيران كثير الجولان

يقتحم الاشواك الى زهر البستان

لا يبلغ ما يمكث مقدار الطيران

ان رفرف كالواقف أو حوم أو طار

كالنحلة فى الروضة تعبث بالنوار الخ

أنظر الفترة الثانية من الديوان ص ١٢٥

رجائى من الشعراء خاصة أن يتفضلوا على بآرائهم وهل يمكنهم النسج على هذا المنوال أو غيره مما يلائم أذواقهم .

لهيب الحرية

ليبيا المصورة ـ السنة الثانية ١٩٣٧

وهو وزن (نشيد الطلبة) للمرحوم الرافعى

مجـدا مجدا مدرسـتى   مدرستى مجدا مجـدا
عن علمى عـن تربيتى   مدرسـتى حمدا حمدا

نشرت لى هذه المجلة المتواضعة ـ زادها الله رفعه ـ فى عددها العاشر من سنتها الاولى مقالة بتاريخ يوليو ١٩٣٦ تحت عنوان « الوزن والقافيـة فى الشعر العربى وهل يمكننا ايجاد أوزان جديدة للشعر » بينت فى تلك المقالة فكرة كانت تخالجنى من زمن بعيد فما استراح فكرى الا بنفثها من صدرى . وقد سألت الادباء عن رأيهم فيها وعرضت عليهم مثالا مـن وزن جديد تحت عنوان « قلب الشاعر والجمال » مطلعه :

كالنحلة فى الروضـة تعبث بالنـوار

وقلت فى آخر المقالة : (وأختم بعرض المثال الذى ذكرته فان رأيت قبوله عرضت غيره مما كان يجول فى فكرى ولا أجسر على اظهـاره ، (والا جعلته بيضة الديك) فلم يهتم أحد بفكرتى . وكان سكوتهم (ينطقهم الذى أنطق كل شىء) معناه اجعلها يا سيد بيضة العقر . فقلت ان القوم أرادوا أن يجعلونى شريكا فى الاسم للاستاذ ديك الجن الشاعر الحمصى فشكرا لهم على حسن ظنهم بى وقبعت كالقنفذ فى قاصعائه ردحا مـن الزمن . ولكنى رغم سكوتهم العميق أريد أن أبيض مرة أخرى . والحمد لله الذى لم يجعلنى عاقرا . وشكرا لمجلة الرسالة التى أيدت فكرتى فى عددها ٢٢٥ فى مقالة عن الرافعى للاستاذ محمد سعيد العريان بتاريـخ

أكتوبر ٩٣٧ أى بعد مقالتى بخمسة عشر شهرا • قال الاستاذ العريان ــ أدفأه الله فى هذا الشتاء ــ فى المقالة العاشرة ما نصه :

البحر المنفجر :

فى أناشيد الرافعى عامة تعرف له روحا ونغمة هى سر نجاحه فيما ألف من أناشيد ويميل فى أناشيده الوطنية خاصة الى ابراز معنى القوة فى سبك اللفظ ولحن القول ولو أنك سمعته مرة وهو فى خلوته الشعرية يحاول شيئا من هذه الاناشيد لسمعت لحنا له رنين يشترك فيه صوت الرافعى وتهز أصابعه على الكتب وخفق نعله على أرض المكان وعلى أن الرافعى كان أصم لا يسمع قصف المدافع فانه كان لا يستوى له النظم الا فى مثل هذه الحال واسألوا صديقنا الاستاذ مصطفى درويش المحقق بوزارة المعارف ماذا سمع يوم صحب الرافعى من طنطا الى القاهرة وكان يؤلف فى القطار نشيده :

حماة الحمى يا حماة الحمى
هلموا هلموا لمجد الزمن

لقد صرخت فى العروق الدما
نموت نموت ويحيى الوطن

واسألوا الآنسة مارى قدسى معلمة الموسيقى بوزارة المعارف تحدثكم عن خبر الرافعى يوم جلس اليها وهى تعالج تلحين نشيده (بنت النيل) ويوم جلست اليه تعزف على (البيانة) لحنها لنشيده (اسلمى يا مصر) وهو يسمعها (بعينيه) تتبعان أصابعها على المعزف وهو ينقر على الارض بعصاه ورجليه وينفخ شدقيه وفى أذنيه وقر ثقيل •

هذه النغمة التى كانت تتمثل للرافعى فى سمعه الباطن وهو يعالج نشيدا من الاناشيد كان لها أثرها الفنى فى جمله (هى هى التى كانت تشعره أحيانا بالعجز عن أن يجد فى (موازين الشعر العربى) النغمة التى

كان يرددها فى أناشيد (كطبل الحرب) فلما هـمّ أن يضع نشيدالطلبةوهو:

عن علمى عن تربيتـى   مـدرستى مجدا مجـدا
مجدا مجـدا مـدرستى   مـدرستى حمدا حمدا

لم يجد له نغمة تلائمه فيما يعرف من بحور الشعر كذا كذا .. فاخترع له هذا الميزان الذى يزنه به قارئه وسماه (طبل الحرب) ولكن صاحب المقطم أشار عليه أن يسميه (البحر المنفجر) وتفعيلاته (فعل فعل فـو) مكررة فى كل شطر مع بعض علل فى الميزان يمكن ادراكها بالموازنة بين الشعر وتفعيلاته .. انتهى

أقول رحم الله الرافعى فقد كان مجددا بالفعل لا بالقول وقد كان لفقده حاسة السمع خسارة عظيمة على الادب العربى فلولا صممه لاخترع لنا عدة أوزان على نغمات شتى ولكنه كان يسمع بعينيه كما يقول الاستاذ العريان ومع ذلك فقد جاء بهذا الوزن على نغمات طبل الكشافة ولذا سماه طبل الحرب فتأمل بعد نظر الرافعى فى تسميته لوزنه الجديد وفى تسمية صاحب المقطم له بالبحر المنفجر .

ألا نرى الرافعى يحذف اسم البحر ويؤلف أوزانـه بعينيـه وفق حركات الضارب على الطبل والآخر يتمسك بالبحور وبفعل فعل فـو . الرافعى يخرج شابا عصريا بلباسه العسكرى يمشى على نقرات طبـول الحرب والآخر يتزمت ولا يريد الا أن يلبس ذلك الشاب العصرى لباس البدو ويثقل كاهله بالمشلح والعقال فى عصر النهضة ويقترح أن يسـميه (البحر المنفجر) ذلك لان الشعر عند غير الرافعى المبدع يجب ويتحتـم أن يسمى بحرا وان يتقيد (بفعل فعل فو) والافما هو بشعر . ويجب ويتحتم ويلزم أن نسائل الرافعى مستنكرين وزنه الجديد كما سأل الاستاذ موسى البرعصى فى قوله :

من أى بحر قـد نظمت الشـعرا
بحـر أجـاج .. ونسـيت الشطرا

ولا بدع أن يتساءل أستاذنا موسى وغيره عن شيء لم يتعودوه من قبل ويستنكروا الاوزان التى لا توافق علم العروض فقد حدث مثل ذلك من قبل فها هو التاريخ يخبرنا عن أبى العتاهية أنه كان ينظم الشعر على أوزان لا يعرفها أهل زمانه • فكان يأتى بالشيء الغريب وكان يقول لو شئت لجعلت كلامى كله شعرا •

أرأيت كيف أن التعصب القديم حرمنا من أوزان أبى العتاهية فضاعت علينا حيث لم يذكرها مؤرخ ولا اعتنى بها أديب • ولكن تلك أمة قد خلت وعصر غبر • أترانا فى العصر الذى تبدلت فيه كل العلوم وملك فيه الفكر حرية البحث نظل محجمين عن البحث فى علم العروض ويضيع وزن الرافعى كما أضاع المغفور لهم أجدادنا أوزان أبى العتاهية !!

وبعد فهل للادباء أن يتفضلوا بمقابلة مقالتى السابقة بمقالتى اللاحقة ويراجعوا الوزنين ويعطوا رأيهم فيهما وهل للشعراء أن يسمحوا لقرائهم بنظم شيء على أحد الوزنين أو غيرهما حتى نحدث بالتدريج أوزانا جديدة عديدة • أرجو ممن يتفق له شيء من ذلك أن يشرفنى به بواسطة مجلتنا هذه وله الشكر سلفا •

والى القراء أبيات فى المعنى وجدتها مهملة فى مسودة على ظرفه فكانت هى الداعية الى كتابة هذه المقالة وفيها خلاصة المقالة مجملة وهى

أما آن للشعر أن يستقل
ويخرج من ربقة القافية

فقد طال والله تقييده
بتقليدنا الأعصر الخالية

الام نسير بوزن الخليل
ونرسف فى قيده العائق

وللشعر فى كل لحن جميل
مجال مع النغم الشائق

المتجبرنون

ليبيا المصورة ــ العدد العاشر ــ السنة الثانية ــ يوليو ١٩٣٧

أقصد بهذا العنوان الذين يقلدون أسلوب جبران فى الكتابة وهم عندنا كثيرون وجلهم من ناشئة الكتاب الذين لم ينضجوا وبكلمة أوضح الذين ما زالوا فى دور التقليد ولما يتخذوا لانفسهم أسلوبا معينا • لقد فكرت كثيرا ما سبب تقليد شبابنا لاسلوب جبران فلم أهتد للسبب ولقد سألت نفسى كثيرا ما الذى حبب اليهم أسلوب جبران حتى صاروا يقلدونه فى رسالتهم الخصوصية بصورة مضحكة مبكية لتقصيرهم فى التقليد نفسه مع أنهم لو أجادوا التقليد ما جاءوه بدرجة أنهم تقمصوا روح جبران ما كانوا ليشكروا على ذلك لان التقليد مهما بلغ لن يبلغ قيمة الاصل ولأن أسلوب جبران لا يستحق جبران نفسه الشكر عليه فكيف يرجو مقلده الشكر وان أجاد •

هذا رأيى فى أسلوب جبران وسأوضحه لمقلديه فان وجدونى قريبا من المنطق والعقل أرجو أن (يفكونا)[١] من التجبرن وان كنت فى نظرهم بعيدا عن الحق ولا أخالنى كذلك فلا يتهموننى بالتحامل على جبران فانى أقدر لجبران قدره أكثر منهم من جهات أخرى لا يعرفونها •

أسلوب جبران جديد ولكن هناك أساليب جديدة كثيرة اذا قسناها بها ــ وليعلموا أنى ان كنت متحاملا فعلى تقليدهم « أسلوب جبران » ــ ظهر لنا قصوره عنها وشذوذه عن جميعها فهو أسلوب الى الفرنجية أقرب منه الى العربية ويتبين ذلك للمدقق من تركيبه الجمل وترتيبه الكلام على

---

١ ــ كلمة عامية معناها : أن ينصرفوا عن ....

الطريقة الغربية وبالأخص استعماله الاستعارات وهو كثير الاستعمال للاستعارة ولكثرة استعاراته أكثرها نافرة لا تلائم الذوق العربى وسبب ذلك على ما أرى تشبعه بالافكار الغربية وترجمته الكثير من آرائهم فى كل كتاباته ثم استعماله الكلمات اللغوية فى غير مكانها اللائق وتركه ما هو أليق وهذه طريقة الكتاب المستشرقين الذين يرصفون من المترادفات ما يفيد المعنى صحيحا ولكنه ينبو فى الذوق ويخالف الفصاحة فلا يجد القارىء العربى من الطلاوة والتناسق فى كتاباتهم شيئا يروق وجبران أرقى من ذلك وأرفع ولكن الانسان يشم أحيانا وهو يقرأ له رائحة أولئك المستشرقين حقيقة حقية •

أسلوب جبران يخيل لى وأنا أقرأ له أنه يقلد كلام الانجليز ولهجتهم القصيرة الجمل فى أصواتهم الحنجرية كأنها نعيق الغرانيق فهو اذ يكتب بلغة عربية صحيحة تحس أن تركيب كلام على غير التراكيب العربية وبخلاف اللهجة السورية والمصرية ــ وهنا يظهر التجديد فى الاسلوب وهنا أسأل هل لنا أن نعجب لهذا الاسلوب ونقلده ؟

أم لنا فى الاساليب الجديدة العديدة ما هو خير من أسلوب جبران وأفضل بكثير اذا تأملنا فى أساليب الكتابة العصرية أمكننا أن نقسم هذه الاساليب بأوسع تقسيم الى أسلوب سورى وأسلوب مصرى هذا لا يشك فيه من له ذوق سليم أو اطلاع على كتابة كتاب القطرين ويمكن الفطن أن يميز بين الكتابتين بدون معرفة اسم الكاتب ويجرب من نفسه من له رغبة فى التحقق مما ذكرت • والآن وقد قسمنا أساليب الكتابة بأوسع تقسيم الى قسمين نسائل أنفسنا أيهما أحق بالاتباع وأحسن لنا تقليدا • أما أنا فانى أفضل الاسلوب المصرى على السورى ولا أعتمد فى تفضيلى الآن الا على الذوق لانى لو أردت المقابلة وتحليل الاسباب التى تدفعنى الى تفضيل الاسلوب المصرى للزم لذلك ذكر شواهد كثيرة ومباحث لسنا فى صددها الآن ولا فى قصد التكلم عن الاسلوبين فذلك بحث • واذ رجحنا الاسلوب المصرى بوجه عام هل لنا أن نقيس أسلوب

جبران على أساليب الكتاب البارزين من المصريين وتتأمل فى أسلوبه وأسلوب أحدهم فى أى موضوع هو من تلك الاساليب .

الاسلوب المصرى الحديث يمكننا بنظر شامل أن نقول عنه كله جديد كله ترسل سهل الالفاظ بسيط العبارة واضح جد الوضوح لا يوجد فيه الغريب ما أمكن كما يتجنب التعقيد والمعاضد له فى المعانى .

وهو نفسه ينقسم الى أساليب يمكن ارجاعها الى أمهات هى أساليب الكتاب البارزين فى مصر نذكر منهم البعض الذى نستحضره الآن لا على سبيل التفضيل بل على سبيل الروح الغالبة على أسلوب الكاتب منهم .

فأسلوب أحمد أمين وزكى مبارك أسلوب علمى أدبى وأسلوب حنان تاريخى أدبى وأسلوب المنفلوطى اجتماعى قصصى والرافعى قصصى دينى والعقاد انتقاده أدبى ، المازنى انتقاده مزاحى ، فكرى أباظة فكاهى شعرى ، طه حسين خطابى استطرادى . وفى الحقيقة لم أعرض له مذهبا يحصى أسلوبه — ويطول بى الامر لو أردت تعداد غير من ذكرت من الكتاب وحصر أسلوبهم فى عناوين ان لم تكن منطبقة تماما على تعريف الاسلوب فتوشك أو تكاد . وعلى هذا القياس يمكننا أن نعنون أسلوب جبران بأنه مهيج مبالغ — يقصد التهويل والتأثير بالالفاظ أكثر من المعانى ويكفى أن تمعن النظر فى عناوين كتبه .



هلال رمضان

ليبيا المصورة ـ العدد الثانى ـ السنة الثانية ١٩٣٧

كان آخر يوم من شعبان • وكان الوقت الغروب • وكنا ننتظر هلال (سيدى) رمضان المبارك بشوق من صميم الروح • يبعثه حب الدين الذى طبعته فى النفس التربية الدينية ، وكم للتربيــة من تأثير فى النفــوس • عزمت على الذهاب الى البيت قبل المعتاد للاجتماع مع الاهل على المــائدة حسب العادة فى أيام المواسم التى يستحب فيها الاجتماع للبركة • وتكثر فيها أنواع المآكل والحلويات والفواكه لزيادة الانبساط والسرور •

مشيت أتطلع الى الافق لعلى أرى الهلال حتى أزف البشرى للاهل وأقول لهم (كل عام وأنتم بخير) ليستعدوا للسحور وما يلزم للسحور ، وبينما أسير وجدت نفسى فى ميدان متسع ورأيت الافق الغربى أمامى فوقفت أتطلع وأجيل طرفى هنا وهناك ، ومضت برهة وجهت فيها كل شعورى الى رؤية الهلال حتى لم أعد أشعر بمن يمر حولى وأنى لكذلك واذا بباب انفتح أمامى وخرج منه رجل ووقف ينظر الى شذرا • فعلمت أنه ارتاب من موقفى وتحققت أننى أخطأت فى وقوفى هناك وجلبت فــى نفسى شبهة ببحث عن هلال الشك فوقفت فى الشك • وتدبرت فى الامر فقلت فى نفسى أن أنا مشيت ازداد الرجل شبهة وقد لا يكلمنى ولــكن ربما يعود بالشبهة الى أهله ويحصل بينهما نزاع أكون أنا سببه بحسن نية أو ببلاهتى وعقليتى (ولك الحق فى أن تحسبنى كما تشــاء) وقلت الاحسن أن أبين له أننى أتطلع الى الهلال وبما يذهب الشك من قلبه فلا يجد على ولا على غيرى • ورأيته يقترب منى متئدا وقد أدخل يديه فى جيبى سترته والغيظ يبدو من عينيه وعلى سمته فبادرته قائلا (وأنا أتملق

واتحذلق واصطنع الابتسام) لى مدة أتطلع الى الهلال فلم أره • بصرك أحد من بصرى فتعال أنظر معى اسمع كلامى وكأنه لم يسمعه فلم ينبس ولكنه وقف أمامى ونظر الى بحنق وغيظ شديدين فارتبكت من نظراته وتألمت من اتهامه لى وسوء اعتقـاده فى وأنا برىء ممـا ذهب اليه ظنـه (وكم من مظلوم فى الحبس) ولكن سكت وعلمت أن اعتذارى الـذى قدمته لم يقنعه ولم يصدق أننى أتطلع الى الهلال فحولت وجهى عنه كأن لا علم لى بأنه مغتاظ وأنه يحدد النظر الى وصرت أجيل طرفى فى الافق وأمد رقبتى (كالديك الذى يستمع الى القاطر)[1] وأرفع يدى على حاجبى كمن يتقى الشمس ولا شمس اذاك ولكن لاقنع الرجل بأوضاعى وحركاتى حيث لم يقنع بكلامى • وصرت ألاحظ خلسة وأقول ان هو فعل مثلـى واهتم بالبحث عن الهلال فقد صدق كلامى أو مال للتصديق والا فهى (وقفة زفتة) ولا حول ولا قوة الا بالله (يا سلاك الواحلين) •

وبعد تمثيل دور الباحث المستطلع نظرت اليه فاذا هو كالصنم لا يتحرك ولا ينظر الا الى وجهى يكاد يأكلنى بعينيه الجاحظتين فقلت لا بد من اقناعه بالتأكيد واليمين فليته يبدأ بتوجيه التهمة • ووطنت نفسى على قبول الشتم والطرد اذا لم يقنع سيدنا الغيور الواهم وقاتل الله الغيرة اذا أشعلتها الوساوس ونفختها الاوهام فهى الشىء المستطير •

نظرت اليه فوجدته على هيئته الاولى • فعبست أنا أيضا وجهـى وقرنت حاجبى وحملقت عينى (بعض الشىء) وقلت بلهجـة المسـتفهم الغاضب مالك تحدد النظر الى ولا تتكلم • ولكنه سكت وكان سكوته يؤثر فى أعصابى تأثيرا شديدا حتى صرت ارتعد (لا خوفا ولا ضعفا) فانى ولله الحمد أملك قوة رجلين وبالتعبير العصرى أملك قوة نصـف حصان (مع العقل هنا) ولا ضير على من قياس قوتى بالحصان فانهـم يقيسون الطيارات والسيارات والمحركات بقوة الخيل ولكن ارتعادى من

---

١ ــ القاطر فى الاستعمال العامى : ما ينزل من السقف عند سقوط الامطار من الماء على شـكل قطـرات .

التهمة الباطلة ومن غلبة الحياء الشديد الذى ألحقنى أضرارا كثيرة فـى مواقفه سابقة ، فسكت أنا بدورى وحدقت النظر اليه منتظرا ما يكون من هذا الصامت الحاقد ، فأخرج يده من جيبه وأشار الى بالسبابة مهددا قائلا (أنت واحد رزيل وقليل الحياء) وقبل أن أجيبــه ••• مثى ••• وما شعرت الا وشيء كالبرق لمع بين كفه وعينى ••• ولكن الكف الذى أكلته نفعنى فانتفضت من ذهولى وجمعت نفسى وقبضت من ورائه على عنقه وضغطت عليه بكل قوتى فصرخ وحاول الخلاص من يدى ولـــكن هيهات ونزلت عليه لكما وصفعا (والحمد لله لم تكن معى عصاى والا كنت ارتكبت جناية •••) وفى تلك اللحظة أحسست بضربات مؤلمة على ظهرى فالتفت فجاءتنى ضربة على خدى واذا بعجوز وفى يدها قبقــاب تضرب وتصيح واجتمع الناس وكثر المخلص والمحاجز حتى فصلوا بيننا فوقفت أسوى ملابسى وأنفضها وانطلق لسان صاحبنا الصامت وصـــار كالبلبل يشرح للناس وقوفى وتطلعى الى عورات بيته ، والعجوز تشتم وتهلل وأنا ساكت • وكان بين الحضور صاحب يعرفنى ويعرف خصمى فتبرع بتحقيق المسألة وجاء يسألنى ويقول أنا لا أصدق ما يدعى هـــذا فكيف أحل المسألة ؟ حينئذ جاء دور اليمين والتأكيــد فرفعت صـــوتى ليسمعه الكل وقلت : يا أخى والله وبالله وتالله وشرفى وناموسى وذمتـــى و و و مالى قصد ولا رغبة فى النظر الى بيت هذا وبيت غيره واننى مـــا وقفت الا لانظر الهلال فحسب هذا الاحمق انى أتطلع الى بيته فجاء ومن غير أن يسألنى أو يكلمنى بدا فلطمنى ، هذه قصتى وهذا حـــديثى معه ولا يعرفنى قبل اليوم ولا أعرفه وأنت تعرف أخلاقى وتعرفنى جيدا •

وصار خصمى يصيح أين البوليس ولا بد من رفع قضية على هذا المعتدى على شخصى وحرمى وسأفعل كذا وكذا وتداخل صاحبنا فـــى الصلح وأخذ يلوم ويقول له انك مخطىء فى ظنك والرجل برىء ولـــم يحصل سوء وهذا عمل الشيطان فالعنوه وارفعوا سوء التفاهـــم وأنت البادى المتعدى ، هيا تفرقوا وليذهب كل لشأنه وأخـــذ يدفعنـــى وأنا

أتثاقل وألتفت كالجمل الهائج وأتنفخ كالديك الهندى أو الرومى وفى الحقيقة أريد الفرار من ذلك المأزق وأقول يا رب سلم وسلم الله وذهبت الى البيت متأخرا وستر الظلام أثر القبقاب فى وجهى فلم يرها أحــد من أهلى وتعشيت معهم ولم تكن لى شهوة فى الطعام ولــكنى لم أشــأ أن أنغص عليهم موسمهم المبارك عليهم ثم غسلت يدى وشربت القهوة ودخنت وراق دمى قليلا وتأملت فيما حدث وحمدت الله على انتهاء المسألة بهذه النتيجة حيث لم يحصل ما يوجب الحكم والحبس ومبيتى ليلة الصيام فى الحبس ثم أصبح متهما مظلوما مغروما وصائما بلا سحور وربما يمتــد توقيفى الى العيد فيعدنى أبناء الحرام من الشياطين لما جاء ان الشياطين أو العفاريت تحبس فى رمضان وتصفد فى الاغلال وخشيت قول الشــامت معرضا (سبحان مقيد العفاريت) فكررت الحمد لله على السلامة والشكر لرمضان الذى أدركتنا بركته فانتهت المسألة بلطف أليس كل ما حــدث مــن رمضــان .

آه من هلال رمضان ولكنى أنا الملوم والا فمالى وللهلال والتطلــع الى الهلال ، هلال رمضان . وتذكرت وأنا مستلق أشعارا لابن الرومــى يهجو بها رمضان فقلت قاتله الله ما زال العرق الدساس ينازعه انه لابن جريج حقا وكررت الابيات الآتية ولا أعلم ان كانت له أم لغيره وهى :

شـــهر الصـــيام مبـــارك
مــا لــم يــكن فى شــهر آب

الليـــــل فيــــه لمحــــة
ونهـــاره يـــوم الحســاب

خفت العـــــذاب فصـــمته
فــوقعت فــى عــين العــذاب

وأنا وقعت فى العـذاب قبل صـومه فأصـبحت (والله لا يروعـك) عينى منفوخة ضيقة مثل عيون أهل الصين وخدى منكمد أزرق كالباذنجانة ورأت ذلك أمى فقـالت باسـم الله عليك ماذا أصـابك يا ولدى وكنت أعددت الجواب فلم أتلعثم وقلت البارحة حين قمت للسحور وجدتكـم أطفأتم المنارة فخرجت فى الظلام فاصطدمت بالباب ولا بأس على فلا تخافى ولا تحزنى فاقتنعت المسكينة وقالت الحمد لله على هذا ولا غيره ـ ولكنها أقامت القيامة على من أطفأ المنارة وأصبحنا أول يوم رمضان على خصام وملام فسكنت الخصام ما استطعت وخرجت وأنا أقول ••• كله مـن رمضـــان •

خرجت وأنا متكدر مما حصل والكدر عادة يدعو للتدخين فأصبحت أشتهيه أكثر من كل شيء ووجدت نفسى فى سوق الخضار أمام الجزار • قلت هات لنا من الفخذ واجعل معه قليلاً من الالية • فأخذ يقطع من جهة الذراع ويرينى جهة اللحم ويستل العظام فقلت له اننى أريد من الفخـذ لا من الذراع فقال لا يا سيدى لحم الذراع طرى لذيذ وعظمه قليل ألـم تعلم ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يحب لحم الذراع حتى ان اليهودية سمته فيه ووو وأخذ يلقى على محاضرة جزارية • فقلت له بحدة وقـد وصلت روحى الى فمى لا لزوم لهذه السفسطة والكلام الفارغ اما أن تعطينى من الفخذ والا لا لزوم للشراء منك أتعلم بما أجابنى ؟؟ مسـك السكين كأنه يهددنى بها وقال ـ يا صباح يا فتاح ـ انت صايح محشش أم تريد تبين للناس انك صائم ـ روح يا حضرة الصائم ـ الرزق على الله• وطردنى (عينى عينك) فانسحبت قائلا ••• كله من رمضان •••

وذهبت الى جزار غيره واشتريت ما يلزم من اللحم ثم أخذت خضرة السلطة التى هى عندى أحب الطعام بعد الشوربة • وأعطيت ذلك كلـه الى حمال وقلت تعرف البيت قال نعم • أليس هو الذى فى الجهة الفلانية وبابه أحمر واسع وفيه حديقة كبيرة بها أشجار كثيرة • فقلت ـ تمام ـ لا شك أنه يعرف البيت ونقدته خمسة قروش أجرته وذهب وذهبت الى

محل أشغالى الى قرب الظهر ، وتوضأت وذهبت الى الجامع وبعد صلاة الظهر جلست لاستماع التلاوة ومكثت آخر الناس أستغفر لذنوبى ثـــم خرجت الى محل شغلى ولا أعلم بالذى حصل فى البيت واليك ما حصل •

انتظروا فى البيت الخضرة الى قرب الظهر فلم يأتهم شيء صبروا قليلا ولكن رأوا أن الوقت فات • وبعد اضطراب وتعجب أرسلوا بنتا للجيران لتسألنى عن سبب تأخر لوازم البيت وذهبت البنية تلعب مع الاطفال ساعة من الزمان ثم عادت تقول أنها لم تعرف المحل وكان الوقت العصر فأرسلوا امرأة جاءت الى المحل ولكنها لم تجدنى لانى ذهبت الـــى صـــلاة العصر واستماع الدرس بعد الصلاة • وانى لجالس أستمع الى المدرس اذ أشار الى رجل فنهضت فقال امرأة تسأل عنك بباب المسجد فتعجبت وأسرعت للمرأة واذا هى احدى الجيران قالت انك لم ترســـل (الخضرة) للبيت والوقت فات • قلت سبحان الله لهنى أرسلت اللازم قبل الساعة التاسعة صباحا قالت لا أدرى وذهبت فأسرعت الى البيت ولا يلزم أن أذكر غضبهم وتعنيفهم • قلت اسألوا من الجيران ربما غلط الحمال فسألوا من كل جهة أربعين جارا والنتيجة اما أن يكون الحمال أخطأ معرفة البيت أو خـــان الامانة فقطعنا الامل واسترحنا لليأس قلت اذهب الى الســـوق لآتيكـــم بخضرة من جديد قالوا وأى لحم ينطبخ بعد هذا الوقت نتدارك ما يمكن فى البيت فأرح نفسك وانحوا على باللوم لاهمالى قلت كفى لوما وتعنيفا ـــولم يسعنى الا التبسم (وشر البلية ما يضحك) وخطر لى ـــ كله من رمضان ـــ وسمعونى أقول فى رمضان فقالوا هو الحمال السارق اسمه رمضان فقهقهت والله وأنا أكاد أنشق غيظا وهذه القهقهة أيضا من رمضان آه مـــن رمضـــان •••

جعله الله مباركا على الجميع

ديوان ابن زكرى

ليبيا المصورة ـ العدد الثالث ـ السنة الثالثة ـ ديسمبر ١٩٣٧

لم يطبع فى وطننا ـ منذ سكنته لغة الضاد ـ سوى ديوانين لا أعرف لهما ثالثا • أحدهما لا يزال صاحبه حيا ينظم • لذلك لا يمكننا التكلم عنه قبل الاطلاع على كامل نتاجه الفكرى • والآخر هو ديوان السيد مصطفى بن زكرى الذى سنتكلم عنه ونبدى رأينا فيه وان لم تكن لنا معرفة تامة بتاريخ حياة الرجل الادبية • ودرجة ثقافته وحالة الوسط الذى عاش فيه ، وعلاقته مع أدباء عصره •

وهنا يحق لى أن أعتب على أدبائنا الذين يعرفون تاريخ حياة ابن زكرى لم لا يكتبون لنا عنه • وفى كتابة تاريخ حياة الأدباء مواضيع مسهبة تتناول البحث فى عدة وجوه وتفتح للكاتب مجال الاسترسال فيما يريد •

لقد صار النقد الادبى اليوم يتوقف أولا على معرفة تاريخ حياة الاديب ، وثانيا أصبحت كتابة التراجم أساس النقد ومادة تاريخ الادب • فليس من السهل على كل أحد أن يكتب ترجمة حياة أديب الا أن يكون أديبا متخصصا ، يبحث فى آثاره وعلاقتها بآثار غيره ومقايستها بأمثالها • فقد ترقت الترجمة عن قولنا هو فلان بن فلان وكان رحمه الله كذا وكذا بل منا من يذهب الى ذكر الشذوذ فى أخلاق المرحوم ويغرب علينا بذكر عاداته حتى يقول مثلا انه كان يحب أكل (البازين وشرب اللاقبى) ومالا يفيد من مثل هذه الترهات •

ان تاريخ الادب اليوم أصبح فنا قائما بذاته له أصوله وقواعــده وقد اشتهر بذلك الايطاليون أكثر من غيرهم (حتى لأحســب استدعاء الاستاذ نللينو الى الجامعة المصرية من هذه الشهرة والاختصاص الــذى عرف به الايطاليون) .

ولست الآن بالناقد ولا بالكاتب عن تاريخ حياة ابن زكرى لانى كما قلت أجهل تاريخ حياته ولكننى أطلعت على ديوانه فطالعتــه مــرارا . وسأكتب عن الديوان ما أوحته الــتى مطالعته من الآراء فى نواح مختلفة راجيا ممن يرى خلاف رأيى أن يعرض هو أيضا رأيه حتى يستفيد القراء من مطالعة الرأيين اذ لا يخلو بسط رأى من فائدة جديدة يجهلها أحــد الطرفين . وبذلك نكون قد فتحنا باب النقد المشجع الذى يلزم نهضتنا الادبية أكثر من النقد المر الذى يفل من عزم شبابنا الناشئين ويقل مــن نشــــاطهم .

قرأت فى أحد أعداد مجلة (ليبيا المصورة) مقالة يطلب كاتبها الاديب فتح باب النقد ويدعو اليه وانى أخالفه فى رأيه هذا لان نهضتنا ما زالت فى دور الازهار « النوار » ولما تثمر ثمرتها المطلوبة حتى ننقد هذه الثمرة لنميز الناضج من الفج بل علينا أن نشجع الادباء ونذكر وجوه احسانهم ومواضــع اجادتهم ونطريهــا لتزداد بذلك جســارتهم واقدامهم علــى التوغل فى فنون الادب فاذا نضجت بيننــا ثمرة الادب فعنــد ذلك يجب النقد اذ كما يقولون : لا يكون النقد قبل تقدم الادب . أما الآن فــلا أرى النقد الا معرقلا سير نهضتنا واجتنابه أولى من التزامه ، هذا رأيى .

أعرف صديقا شابا آتاه الله ذوقا سليما وأسلوبا حسنا ولكن لم يكن يجسر على نشر شىء من كتابته خوف الانتقاد ولما عرض على كتابته حاولته على نشر بعضها فلم يقبل الا أن تكون باسم مستعار فسألته عن السبب فقــال : أخاف انتقادى . ولكنى نشرت له شيئا مــن غير علمــه وبغير امضائه . فسر بذلك وشجعه على نشر كتابته وها هو اليوم من كتابنا

المعدودين تبشر كتابته بمستقبل باهر فاذا شاء تصديقي بالاعلان عن نفسه فعل .

ولقائل أن يقول أنت أول من بدأ بالنقد فى مقالك (المتجبرنون) ولكنى أرد على القائل بتوجيه نظره الى أن نقدى أسلوب جبران من قبيل النقد الذى أريد به تشجيع أدبائنا الناشئين وان المطلوب من تلك المقالة توجيه نظر بعض الكتاب الى الاقلاع عن تقليد أسلوب جبران ولم أبين المقلد ولا ذكرت اسمه ولا المواضيع التى قلد فيها من كتابته . كل ذلك تحاشيا من أن أواجه بالنقد كاتبا أو كتابا رأيتهم يقلدون أسلوب جبران فانتقدته : ولو أنى انتقدتهم أنفسهم لقلل ذلك من نشاطهم وأضعف عزائمهم ولعادوا على باللوم والشغب فنخسر من حيث أردنا الفائدة .

ولقائل أن يقول لى أيضا مالك متحامل على أسلوب جبران فأجيبه أنى بينت ذلك فى مقال (المتجبرنون) ولكنى هنا أرى فرضا على أن أقول أنى أعرف لجبران طرافة الموضوع وجدته ، وحرية الرأى ، والابتكار وان كان ذلك من اقتباسه من الانجليزية ومع ذلك فهو فى وقته نسيج وحده فيما ذكرت له من المزايا مع ضعف أسلوبه واختلال لغته .

وأعود الآن الى التكلم عن ديوان ابن زكرى وما أوحت لى مطالعته فأقول :

يحتوى ديوان ابن زكرى (عدا منظومته فى النحو) على أكثر من ثلاثمائة بيت أكثرها غزل رقيق يذكرنا بأشعار أهل الاندلس من جهة السلاسة والسهولة ويذكرنا بصفى الدين الحلى وابن سناء الملك من جهة البديع والمحسنات اللفظية وهو بجملته خال من التعقيد لا تجد فيه كلمة وحشية ولا ضرورة شعرية ولا معاضلة بتقديم وتأخير يخل بالمعنى المراد ومعانيه على بساطتها وتداولها واضحة جلية لا لبس فيها ولا اشكال حتى لتجد منظومته فى النحو وعدد أبياتها ٢١٣ بيتا على ما ذكرت من السهولة . فالموسيقى الشعرية غالبة عليها بخلاف ما نعرف من الالفيات

والمنظومات الاخرى التى هى أيضا من بحر الرجز وفيها مـــن التعقيـــد والتقديم والتأخير ما يجعلها الى الطلسمات أقرب منها الى الشـــعر ولا أعرف فى النحو أسهل وأوضح من منظومة ابن زكرى ومثلها منظومة السيد الاشهب البرقاوى والد الشاعر محمد الطيب •

وليس فى الديوان شىء مبتكر جديد بل كل ما فيه معان متداولـــة أكثر منها الشعراء فى كل زمان ومكان ومعانيه وألفاظه كلها أندلسية مما يدل على أن الشاعر متأثر بشعراء المغرب أكثر من شعراء المشرق بل فيـــه من الابيات ما يحمل غيره أن يعتقد أنها مسروقة برمتها من شعراء الاندلس ولكنى لا أذهب الى القول بالسرقة والنسخ والذى أعتقد أن روح شاعرنا متشبعة من مطالعة أشعار المغاربة لانى أراه يكاد يتخذ طريقة مستقلة تدل عليه فليس هناك سلخ ولا نسخ بل تأثر بما تمثله من شـــعر الانـــدلس وبتنبيه مختصر كما تظهر رائحة الورد فى العسل الذى رعت نحلته الورد •

وليس هناك مواضيع مختلفة تظهر لنا اقتدار الشاعر واحسانه فى فن دون فن بل كل ما هناك مديح وغزل فليكن حكمنا عليـــه من هاتين الناحيتين أما استعمال الجناس وأنواع البديع والاعتنـــاء بالمحســـنات اللفظية فذلك كان المطلوب المستحسن فى زمان ابن زكرى أو قبل خمسين سنة على الاقل فانظر الى ابتداء النهضة العصرية تر أن كتابها وشعراءها بدأوا بتحسين الالفاظ والاعتناء بها أكثر من اعتنائهم بالمعنى المبتكر •

فالكتاب مثل اليازجى ونديم والمويلحى والبكرى كانوا يستعملون السجع والجناس على طريقة البديع والحريرى وأخيرا القاضى الفاضـــل وابن الاثير والشعراء كذلك يقلدون صفى الدين الحلى وابن الفارض وابن نباته ومن فى عصرهم فى استعمال البديع بأنواعه •

فالسيد ابن زكرى اذا استعمل ذلك فانـــه مـــن موجبـــات عصره ومستحسناته على أن استعماله للبديع لم يجىء مستكرها ولا متكلفا سمجا فانظر الى قوله مادحا :

وفعال جـوذك لا ينوبك (فـاعل)
فيها (ومصدرها) يخصك (بالندا)

واذا جـرى ذكر الـكرام فلا أرى
(خبرا) ، يصح وفيه غيرك (مبتدا)

فتراه مع استخدامه الاصطلاحات النحوية لم يجيء بشيء متكلف بل جاء بالسهل الممتنع . وهذان البيتان على ما فيهما من الصناعة اللفظية أعجب بهما كل الاعجاب وهما عندى أحسن شعره وأبدعه . ويكرر استعمال الاصطلاحات النحوية فى عدة مواضع فيقول ويحسن :

وانتصب فى الهـوى لرفـع الحميا
تر جـــزم الاسى وخفض النهـاة

ويقـول :

وأدرهـا حتى ينوب سـكون الرا
ح فـى ذاتــه عـن الحـركات

نسـبتى فى هـواك منـذ أضيفت
عرفت بين معشــرى نـكراتى

مفـرد حـل فى الورى عن مثنـى
ليتـه خصـنى بجمـع شـتاتى

خبـر الحسـن حيث لـم يأت فيه
مبتـدا لا يصـح عنـد النحـاة

أمـره فى القلـوب مـاض ولـكن
ما لـه مـن مضارع فى الصـفات

ويقــول :

وانظــر الى شــعر المليــح ضفيرة
ظفــرت بتقبيــل المواطــئ والاثر

وكأنهـــا ألف بليت بجرهـــا
مــا كنت أعهــد قبلها ألفــا تجــر

ويقــول :

وانظــر لمختصــر الخصــور بدقة
وسل الــكثيب يريك شرح المختصر

تر أن مالــى من نحــول فى الهــوى
فعل وفاعله الضــمير المســتتر

ويقــول :

عبث النســيم بقــدها فتحركت
ألف الــذؤابة فــوق ردف مــائل

ما كنت أحســب قبل ذلك أن أرى
ألفــا يحركهــا حــدوث العـــامل

وأما اقتباسه من الآيات القرآنية فكثيرا نراها مجموعة فى قصيدته (عظــة النفس المتجافية) التى مطلعها :

أو لــم يأن أن يشــوب مــن الغفــ
ــلة قلــب تهــزه الاهــــواء

فانك تجد معظمها اقتباسات من الآيات القرآنية ولكنها اقتباسات بمهارة ولباقة لا ترى فيها نبوا ولا تكلفا لائقة بموضعها من الغرض الذى أريدت لــــه .

ولم تسلم له قصيدة من استعمال البديع الا قصيدته التى مدح بها زكى باشا لانقاذه مسجدا من الخراب ففى تلك القصيدة أرسل ابن زكرى نفسه على سجيتها ولم يتكلف فيها شيئا من الصناعة لذلك فهى أوضح دليل لمن أراد الاستدلال على شاعريته وهى على طبيعتها بعيدة عن التكلف والتصنع •

وأما تقليده للاندلسيين فأظهر شاهد عليه مجاراته لموشح ابن سهل وأبن الخطيب فأما ابن سهل الاشبيلى فيقول :

هل درى ظبى الحمى أن قد حمى
قلب صب حله عن مكنس

فهو فى خفض وحر مثلما
لعبت ريح الصبا بالقبس

ويقول ابن الخطيب :

جادك الغيث اذا الغيث همى
يا زمان الوصل بالاندلس

لم يكن عهدك الا حلما
فى الكرى أو خلسة المختلس

وقد ذكرت هذه المطالع فى مقالة سابقة أظن أنه قد حصل فى أبياتها بعض التحريف • ويقول بن زكرى :

بأبى من زارنى ملتثما
وجلا من رقباء الحرس

فهو كالبدر بدا مبتسما
يتوارى تحت ذيل الغلس

جـال مـاءا لحسـن من وجنته
بـين آس وبهـار وشـقيق

وبـدور التـم من غرتـه
تتجلـى فى صـباح مـن بريق

وشـموس الـراح من ريقتـه
فى كـؤوس من جمـان وعقيق

فترى النـاس سـكارى كلمـا
اسـفرت فـوق شـقيق اللعس

يا حمى الله حمى ذاك الحمـى
مـن شـفاه النـاظر المختلس

فأشهد الله أن موشحة بن زكرى هذه لا تقل سابقتها بلاغة وعذوبة واتقان صنعة ، وأخشى أن أنسب الى الهوى معه أن قلت أنها عندى أحسن من موشحة ابن سهل وان كان لابن سهل فضل السبق على الـكل اذ هـو أبو عذر هذا النمط من الموشحات .

هذا ما ظهر لى من الديوان واذا صح أن نستدل بالاثر على صاحبه فاننى أستنتج من جملة الديوان عدة آراء فى شاعرية ابن زكرى وذوقه فاذا نظرنا الى رقة أشعاره وسهولتها وعدم التكلف والبعد عن الضرورات الشعرية حكمنا بأن ابن زكرى مقتدر متحكم فى ألفاظه لا يطيع الالفاظ البعيدة عن المعنى ولا يستعمل النافر من الالفاظ بل ولا المستأنس فـى غـير موضـعه .

واذا نظرنا الى استعماله لاوزان القصيدة والى اعتنائه بالموسيقى الشعرية وسلامة شعره من اختلال الوزن الذى يرتكبه كثير من الشعراء

المشهورين مثل الزهاوى فانه لا تكاد تخلو له قصيدة من اختلال فى الوزن وأرى ذلك لشدة اعتنائه بالمعنى حكمنا بأن ابن زكرى شاعر سليقى مطبوع لا يتكلف الوزن ولا يجهد فيه فكره واذا نظرنا الى اجتنابه القوافى الصعبة مثل حرف التاء والخاء والذال والطاء والشين والغين وكما اجتنب ذلك شوقى وحافظ والزهاوى ووقع فى ذلك الكاظمى والرصافى • اذا نظرنا ذلك حكمنا بأن ابن زكرى له ذوق لطيف وروح نزاعة الى الجمال ونفس متشبعة بالفن •

والخلاصة أنه شاعر طرابلس لا نزاع فى ذلك الى أن يظهر لنا ديوان غيره وأنه فى نظرى يشبه البهاء زهير وعفيف الدين التلمسانى (الشاب الظريف) ويصرف النظر عن قول البعض ان شعره كله مسروق فلعمرى أن السارق الماهر الذى يحسن اخفاء سرقته ليستحق الاعجاب به لمهارته وحسن تصرفه فما لنا نغمط حق ابن زكرى فى حسن صناعته ونذكر أن له روحا شاعرة ونظرا نافذا وبصرا بالاخذ والتصرف فيما أخذ ولو سلمنا لمن يطعن فيه فلا ننكر له حسن اختياره ورقة حاشيته وعذوبة شعره •

وقد سمعت أشعارا تنشد لم أجدها فى الديوان فهل يتفضل علينا من له علم بذلك فيفيدنا بها وبشىء من تاريخ حياته وأدبه • أرجو ألا يهمل أدباؤنا شاعرنا ابن زكرى فانه ليس ممن يهمل وعار علينا أن يهمل فيصدق علينا قول الزهاوى من رثاء الكاظمى •

الكاظمى قد اعتنى ببلاده

وبلاده بحياته لم تعتن

القطوش

ليبيا المصورة ـ العدد ١٠ ـ السنة الثالثة ـ سبتمبر ١٩٣٨

كنا خمسة ـ فى عين العدو ـ ذهبنا الى مطعم (روMولو) لنأكل سمكا اشتهاه أحدنا فكنا نقول له مازحين ـ الحوت عليك ـ فيضحك فى خجل ويقول كأنكم تعنون قول شاعرنا :

« وعلى جمالك يا غزال الحوت »

فنقول لا ، بل عليك أن تدفع ثمنه فلا تراوغ كالثعبان وتتخلص كالثعلبان . ودرنا حول المائدة وجاء النادل بسمك مقلى لونه كاسمه « مرجان » تفوح رائحته فيسيل اللعاب ، حتى يغنى عن الشراب وترقص الامعاء مقرقرة شهوة لالتهامه بشوكه وزعانفه ، فكان منظره يفتح الشهوة المغلقة كما قال ابن الرومى فى اللوزينج « البقلاوة » ولم يقل أحد أحلى من قصيدته التى منها :

لم تغلق الشهوة أبوابها
الا أبت زلفاه أن يحجبا

لو شاء أن يذهب فى صخرة
لسهل اللطف له مذهبا

الى أن يقول :

ملذ عين وفم حسنت
وطيبت حتى صبا من صبا

وجاءت أطباق السمك ومعها طعام المفكرين والفلاسفة « الخس » وعليه خل .

« اذا ذاقه من ذاقه يتمطق »

وكان نقلنا حديثا أحلى من نسيم أوائل الخريف وألطف من أريج الزهر :

عبثت به صبا بليل
رسيس المس لاغية الركاب

أتت من بعدما انسحبت مليا
على زهر الربا كل انسحاب

وقد عبقت بها ريا الخزامى
كريا المسك ضوع بانتهاب

وحضر كل ما ساغ من مز وبادر وما زلنا فى سهر تتخلله ضحكات تقلع الهم من جذوره وتزرع مكانه سرورا يثمر مودة مشتركة بيننا ، ما زلت أحفظ فى الذكرى لها لذة ما أحلاها لو لم يعقبها ألم من تذكر الحادث الذى سأقصه الآن :

كان بيننا صديق نسميه « العربيد » لثرثرته ونوادره المضحكة وكان مسترسلا فى حديثه مندفعا كالسيل الجارف حتى لا يكاد يتسع له الوقت ليأخذ نفسه ، وقد جحظت عيناه ، وليده اشارات ، ولرأسه حركات ، فهو كما وصف المتنبى كافورا :

واذا أشار محدثا فكأنه
قرد يقهقه أو عجوز تلطم

ويفيض في نكاته حتى تزبد صا مغاه ويتفصد العرق من جبهته البارزة :

كقرعـــة القصـــار أو بيضـــة
للهيق فـــى داويـــة سبسب

وكنا له آذانا صاغية وقلوبا واعية وهو مشمعل في هديره كالبازل لا تهدأ شقشقته ، ولا تنتهي ثرثرته ، ولا يترك لغيره فرصة للحديث • فاضطررنا الى مداراته ، واصطبرنا على ترهاته ، حتى وقعت الواقعة ، وليس لوقعتها كاذبـــة •••

قلت كنا كلنا آذانا صاغية لذلك المهذار ، فلم نشـعر بهــرة كانت تجوس خلال أرجلنا تستنشق رائحة السمك ، وتبحث عن فتات المائدة ، وطربت ــ أي العبد لله ــ لجملة من حديث صاحبنا المهذار ؟ فضحكت حتى ركلت الارض برجلي فأصابت الهرة ــ فعضتني وصرخت ــ هي لا أنا ــ صرخة انخلع لها قلب المهذار حتى لأحسبه أحدث مــكروها مــن شدة الفزع والهلع ، فتبينت جبنة وعرفت أن كل ثرثار خوار • وكانت جلبة وضجة وقهقهة أذهبت الألم الذى نابني من ناب الهرة فلم أذكـــر شيئا مما أصابني واستحييت أن أظهر الألم من عضة هرة لقول القائل :

واعلم بأن عليـــك العار تحمله
من عضة الكلب لا من عضة الاسد

وهذه هرة ليست بكلبـــلو ذات سوار لطمتني ــ (فأكلتها قـــنرصـــنة) يهودي وغـمـيـت)[1] وعدنا الى ما كنا فيه حتى انقضت السهرة وذهب كل منا لشأنه وأصبحت ناسيا كل شيء وذهبت الى عملي كالعادة ، لا أشعر بألم ولا أتذكر حادثة المساء والمصائب اذا بانت هانت ومر يوم الخميس بخير وبكرت يوم الجمعة فاغتسلت وتوضأت للجمعة ــ ولا أمدح نفسي فاني محافظ على صلاة الجمع والعيدين لا غير ــ (صلاة القياد جمعـــة وأعيـــاد) •

---

١ ــ مثل عـامي لـو ذات سـوار لطمتني •

وبعد عصر الجمعة ذهبت الى قهوة الشاطىء للعب النرد ، ولم أعلم أن المـــاء :

« نَـقّضْ علـىّ الـجَـرح بعـد نـسـيتـه »[1]

وشعرت بألم خفيف أخذ يزداد مع برد العشية حتى خدرت رجلى فقمت والألم يزداد ! ولا أطيل الكلام الفارغ . ما حانت الساعة التاسعة مساء وأردت الرواح الى البيت الا وأنا أعتمد على ذراعى صديقين وأتوكأ على عصاى المشهورة بين الاخوان بأن فيها سرا ولا أقول انها من بنات عـم سيدنا موسى ولكن مثل عصا الحكم بين عبدل الأعرج التى قيل فيها :

عصا حـكم فى البـاب أول داخـل
ونحن على الابواب نقصـى ونحجب

وكانت عصا موسى لفرعـون آيـة
وهـذى لعمـر الله أدهـى وأعجب

تطـاع فلا تعصـى ويحـذر أمرها
ويرغب فى المرضـاة منهـا ويرهب

وبت بليلة نابغية ، وأصبحت عاجزا عن الذهاب الى بيت الخلاء وكمـا يقال (طارت السكرة وحضروا المداينية)[2] . فكرت فى رجلى وهى تحمر وتنتفخ وفكرت فى الفضيحة ان قلت أنها عضة هرة ! وفكرت فيما سأموه به على عوادى فصممت على كتمان الحقيقة ولكن الامر وخيم يسـتدعى احضار الطبيب فماذا أقول للطبيب ! ؟ ولا بد من اخباره بالحقيقة والحقيقة مرة والشاعر يقول :

ان بحث الطبيب عن داء ذى الـدا
ء لأس الشـفاء قبل الشـفاء

---

١ ــ مثل عـامى معنـاه : نبهنى بعد ان كنت ناسـيا .
٢ ــ مثل عـامى معنـاه : اليوم خمر وغـدا امر .

ويقـــول :

ومن صـــدق الاخيـــار داووا مقامه

بصـــحة آراء ويمن منـــاقب

فقررت أن أبوح للطبيب فى خلوة واستكتمته الامر وجاء حضرة الدكتور (بك) متلهفا ولكن جاء معه أيضا ما أكره ووقع ما أحــذر وهو صديق يحبنى (بسلامته • يحرسه الله) بزيادة وكنت أحبه •• فامتعضت مـــن مجيئه وبلعت غصتى ــ وصبرنا لحكم الله غصبا عنا ــ وفوضت أمرى الى الله وقلت (ما اطيحنى[1] وبعد الترحاب قال الدكتور : ايه •• ايشبيك • لا بأس عليك أمس وأنت مثل الاسد قلت : ان البعوضة تدمى مقلة الاسد ، فظننى محموما أهذى ، فقال : بعوضة !! ها ها ها صدقت ان البعــوض ينقل عدوى الحمى فمتى تجىء نوبة الحمى • قلت : لا ، يا بك ليســت حمى كما تظن • ولكنه جرح خفيف فى رجلى أهملت العناية به فاستفحل أمره • قال : جوروح !!! من أين أصابك الجرح ؟ لعبت الفوتبول ؟ قلت : لا والله • قال : وقعت من دراجة ؟ قلت : لا ، يا مولاى • قال وأراد اظهار الحذاقة : عرفت ، عرفت مسمار فى حذائك ! قلت : لا (يا ودى) أعــوذ بالله من المسامير • قال محتدا قل لى اذا أى جرح هو ؟ وكانت أسئلتــه كأسئلة منكر ونكير • وكانت أشد على قلبى من الالم الذى برجلــى • فسكت متحيرا خجلا والدكتور يحملق عينيه فى وجهى ومنتظر الجواب فرفعت طرفى ونظرت الصديق بسرعة ونكست رأسى مرتبكا فأدرك الطبيب فى الحال أنى أكتم سرا • فالتفت الى الصديق وقال أرجوك أن تخلينــا خمس دقائق ــ ولا مؤاخذة ــ وخرج الصديق وأنا أمانع بالكذب وأتمنى خروجه وعاد الدكتور بعد قفل الباب وقال متنهدا : قل لى الآن بالحق واعلم أن الشاعر قال :

وأبعد أدواء الرجــال ذوو الغنــى

من البرء داء المســتطب المــكاذب

---

١ ــ ما اطيحنى : كلمة دارجة تستعمل عندما يضيق الانسان بالشىء •

٢ ــ يا ود : كلمة دارجة تستعمل عند التبرم بالشىء عند مخاطبة شخص ما •

قلت فى تردد وخجل : عضتنى ، عضتنى ! ••• ونشف ريقى فى حلقى عضتنى أح • أح • أح عضتنى وطولت (نى) كالمتفكر فاستشاط الطبيب وزعق من التى عضتك !! ؟ وحسبت أنه ذهب الى أن امرأة عضتنى — مع علمى أنا لسنا فى بلاد يام يام — فخشيت أن يسىء الظن بى فقلت مستعجلا قطوس يا بك قطوس ومسحت العرق فقهقه الدكتور وصاح على الصديق المطرود تعال يا فلان تعال فأمسكت بيده وقلت دخيلك لا تفضحنى فازداد اغراقا فى الضحك ، وتبينت المكر والخباثة فى نيته وأنه لا شك فاضحى ، فسلمت أمرى لله وقلت يا ستار استرنى بين الاحباب ، واكفنى استهزاء الاصدقاء ، وتهكم الاخوان فما أخاف الا منهم • وأما شماتة الحساد ، وتشفى الاعداء فلا أعبأ به ولا يحرك لى شعرة • ودخل الصديق متهللا وكان الطبيب ممسكنا بطنه من شدة الضحك والصديق يسأل والطبيب يضحك وأنا أتصبب عرقا وينظر الى الطبيب ويقول مهددا (انقولها) فلم يسعنى الا مشاركة الطبيب فى الضحك وقلت مكابرا قل ما بدا لك بل أنا أقول ان لم تقل فليس دون فلان سر ! ولكنى أرجو كما أن تكتما المسألة ولا تجعلانى سخرية بين الاحباب •

وبعد شرب القهوة والتدخين كتب دكتورنا الدواء اللازم وقال : لا تبرح مكانك أسبوعا كاملا ! (يَاوِليتى)[1] أسبوع كامل ! وهل يحتاج هذا الخدش الى كل هذه الشدة ؟ ! ويستدعى حبسى أسبوعا كاملا انا لله ! • قال اذا خالفت أمرى فانك من الآن ممن ليس عليهم حرج • فتمثلت فى تلك اللحظة شفاعة العرج وذكرت الابيات المنحولة للاصمعى وبالاخص قولــــه :

أمشـــى على ثلاثة   كمشــية العرنجلـى

وعزت على رجلى واضطربت نفسى ، وخشيت أن أحرم أحب الرياضات الى وهى المشى ، فقلت أمرك يا سيدى ، والصبر لله ، واسترنى يسترك الله فخرج وهو يتوعد ويهدد ، ويقسم أنه سيعلن عنى بالراديو • ولكنـــى

١ — كلمة مكان يا ولدى وتصغيرها يا وليدى ولكن غير العربى ينطقها يا وليتى وتستعمل للتفكه •

علمت أنه تمسك بآداب مهنته فكتم • وخرج الصديق المحترم وهو يقسم برأسي ويحلف بحياتي أنه على قول أبي محجن الثقفي :

وقد أجود وما مالي بذي فنع
وأكتم السر فيه ضربة العنق

ويقول ليطمئن قلبي بأنه رجل دين :

« وسائل الناس عن ديني وعن خلقي »

ولكن ما خرج الا وهو كأم الخطيئة

أغربا لا اذا استودعت سرا
وكانونا على المتحدثينا

وبالاختصار : (بَـرّاح وَراحت خَمَارته) ١

وما مضت ساعة وملت الى نومة القائلة • الا والباب يطرق ثم يطرق وصار الداخل أكثر من الخارج : لا بأس يا أستاذ •• لا بأس يا سيد • وكلهم ضاحك مستبشر كأنهم في فرح بختان ! وكأنني مختون وتذكرت من وراء ثلاثين سنة أيام كنت مختونا وكنت أبكي من ألم الختان ، والناس يضحكون ويرشونني بالدراهم لاضحك مثلهم • وتصدر صاحبنا العربيد المهذار كعادته واستفتح في هرجه وكان أجرأ من حضر فأسرع الى كشف السترة وقال : كل هذا من تلك الليلة ! من تلك الهريرة • انك لخواف رعديد ، شدد عزمك يا شيخ ، وقم تمشى يا سبع وأخذ يرميني بالخوف ويهزأ بي • ولم يعلم المغفل أنه هو السبب وأنه عندما صرخت الهرة تحت رجلي نط ككرة المطاط وظل ساعة وقلبه (كاليويو يدرجح ٢) وشممت من ناحيته رائحة غلبتها رائحة السمك المقلي فستره الله بالحوت ولا تشبيه بسيدنا يونس عليه السلام •

وبالاختصار انفضحت المسألة وشاعت بين الخاص والعام وجاء

---

١ – مثل عامي : البراح المنادي على الاشياء الضائعة وغيرها بقصد الالحاح عليها في الطلب وصديقه شبيه بالمنادي في بث الخبر •

٢ – يتدحرج •

فبمن جاء شاعر الركينة فقالوا له : (السيد عَضتّته قطوس)[٣] فأجاب على البديهة (قعد محبوس) وأرتج عليه وصار يفكر فى اتمام البيت حتى دخل أبو عبد الله وهو أستاذ الزجالين فعرضوا عليه الاجازة فما فكر ولا قدر ولا كح ولا تنحنح وقال (تريح طول الليل يحوس) فكان البيت هكذا :

السيد عضاته قطوس
قعـــد محبوس
تريح طول الليل يحوس

ولحنه بعضهم . واستدعوا جارا لى كان يحسن ضرب العـود وانقلبت العيادة الى ليلة طرب وسرور . ومر الاسبوع بفضل الاخوان وتسليتهم كأنه ساعة ودخلت دور النقاهة وتماثلت للشفاء وخرجت أتمشى فى البهو ثم أمام الدار حتى تعودت رجلى ، وانطلقت العروق فى السوق ثم خرجت الى السوق وكان أول من صادفنى كهل معروف بالدعابة مشهور بالمزاح . قال بعد السلام والسؤال: لا باس، لا باس طار السو كيف تجد نفسكقلت بخير لله الحمد . قال ولكن قيل أنك عضتك كذا .. وقيل أنها مكلوبة يا مولانا ... وابتعد خطوة وقال وهو يضحك ويتخاوف ابعد عنى وأراد المزاح ولكنه رمى فى قلبى ديناميت الوسوسة والوهم وهو يظن أنه يمزح وراح يمزح ورحت أفكر فى صاحبتى .. صحيح والله .. قـد تـكون مكلوبة فما الحيلة وكيف العمل . وكيف الخلاص من الوسوسة التـى ابتدأت تنخر فى قلبى ، وتقلق فكرى وتشغل بالى . كنت أستحى مـن ذكر عضتها . ولقيت ما لقيت من اهمال العضة حتى نغر الجرح وعانيت منه الموت الاصغر (والموت الاصـغر اخترعته للموت خوفـا) ورأيت النجوم فى القائلة فكيف أقول للناس أن الهرة ربما تكون مكلوبة واننى محتاج للتداوى من الكلب .

والآن وبعد أن زال ألم الزجل ابتدأ وجـع الـرأس ، وعـذاب الوسواس . يا ربى يا سيدى ما لها الا أنت . وازدادت الافكار السوداء

٣ ــ (السيد عضاته قطوس) : عضاته لهجة عامية لكلمة عضته القطوس : القط .

تخالجني وتقض مضجعي الاحسن أن أشيع أنني عضني كلب وأسافر على نفقة الصحة العمومية للتداوي ولكن الناس علموا أنني عضتني هـرة وسيضحكون مني (بزيادة صايلي) وسيتهمونني بالجنون • لا لا لا ، هذا رأي فطير • الاحسن أن أبحث عن رجل فرجاني يكويني وتنتهـي المسألة بالسلامة • ولكن هذا النوع من الطب غير مأمون ولا موثوق به •

وأصبحت أدقق في الماء وأتأمل كلمـا أردت الشرب لقولهـم أن المكلوب يتخيل صورة صاحبه الكلب في الماء ولكني لا أرى شيئا مـن ذلك فلا بأس على اذن الحمد لله يا رب • ثم انقضى هذا الفكر ولـكن قيل أن ذلك لا يكون الا قرب الاربعين وصرت

أعـد الليالي ليلـة بعـد ليلـة
وقـد عشت دهرا لا أعد اللياليـا

ولا الايام أيضا • وأخيرا وبعد أخذ ورد غالطت نفسي ولجأت الى الايمان بالقضاء والقدر وقلت : خليها على الله وما قدر يكون فليس بعد الجنون ــ ان كان لنا فيه نصيب ــ الا الموت والموت في سترة خير من الفضيحة وصرت كالنفساء أرقب الاربعين وقلت ما أحلى قول الشعر

وقـد جـاوزت حـد الاربعين

ولكني ما أزال أنتظر الاربعين بين يأس ورجاء وهم وعناء ولم يعد يجول في فكري غير الهر والقطط والسنانير والضياون والخياطل ووو وما أكثر أسماء هذا المخلوق ولذلك حكاية مشهورة لا حاجة الى سردها وأظنها من تلفيق فقهاء اللغة وضعوها لجمع أسماء الهر في حكاية تشـبه تلفيقـات ابن دريد الذي قيل أنه نحل الاعراب أربعين حديثا كانت السبب فـي انشاء البديع أربعمائة مقامة أو كنوادر القالي وتأليفات الاصمعي وروايات حماد مما جعل الدكتور طه حسين يشك في الشعر الجاهلي وما عذرت الدكتور طه بك الا بعد ما فكرت في الجنون وخفت على عقلي وأشغلت فكري من هذا الحيوان المؤذي فوجدته يشغل مكانا من الأدب ووجدت

بالرغم منى ومع الاسف أنى أحفظ مما يتعلق بهذا الحيوان ما لو جمعته فى رسالة لكانت أمتع من ديوان العقاد لانه معقد على فهم البسطاء أمثالى رغم أنه جعل لكل قصيدة توطئة ومقدمة وشرحا :

لو لـم يقـدر فيـه بعد الملتقـى
عند الـورود لمـا أطـال رشـاءه

وأنا حفظك الله أحفظ من الشعر (ولا فخر فهو علم لا ينفع وجهل لا يضر ما لو كان لى بدل كل بيت قرشا لحسن حالى لكثرة مالـى وختـم الله بالصالحات أعمالى واحشرنى مع سيدنا أبى هريرة رضى الله عنه ورضى الله عن أبى هريرة) •

لقد فكرت فى هـذه الكنية المباركة فان كان كما قيل أنه صلى الله عليه وسلم كفاه بذلك ففى تصغير الهرة لمحة من بلاغة النبوة لأن فى معنى التصغير لطيفة دقيقة جدا فيها تصغير التحبيب وفيها كما يقـال عنـدنا (الترحيب) فان الهرة وهى صغيرة محبوبة لكثرة لعبها وخفتها وفراهتها • تأمل قول بشار الذى سار مثلا وهو هذا :

كسـنور عبد الله بيـع بـدرهم
صـغيرا فلما شـب بيـع بقيراط

ذلك أن الهرة اذا كبرت تبدلت وخبثت فقلت قيمتها الى أقل من القيراط وان كانت هذه المجلة ذكرت فى عدد سابق أن الانجليز يحبون القطـاط ويبلغ ثمن الواحدة عنهم مائتى جنيه فقد والله غاظنى هذا الخبر الاسود كما قهرنى أن لقب الهر من أعظم الالقاب فى ألمانيا وبيت أبى معاذ بشـار أخذه من قول الفرزدق :

كمثـل الهـر فى صـغر يغـالى
بـه حتـى اذا ما شب يرخص

كما أن شوقى رحمه الله أخذ قوله :

فيالك هرة أكلت بنيها
وما ولدت وتنتظر الجنينا

من قول الشاعر :

أما ترى الدهر وهذا الورى
كهرة تأكل أولادها

أو مما أنشد الجاحظ :

كأنها فى فعلها هرة
تريد أن تأكل أولادها

وكلهم أخذ هذا المعنى من المثل القائل : أبر من هرة . وذلك أنها تأكل أولادها من شدة حبها لهم وبرها بهم ومن البر ما يكون عقوقا — (وقد يؤذى من المقة الحبيب) وفى هذا المثل خلاف نذكره فى العدد الآتى (والرُّبُّ فى عُقابه)[1] .

قلنا فى قولهم — أبر من هرة — خلاف فان تعليلهم أكلها أولادها من شدة حبها وبرها ليس لهم عليه دليل وهناك قولهم — أعق من هرة — فان صح هذا المثل — وهو عندى أقرب للحق — لان الهر هو الذى يأكل أولاده أما الأم فانها حنون تحبهم وهى لا تزال تنقلهم من مكان لآخر خوفا عليهم من أبيهم ، فاذا صح هذا المثل يكون شوقى بك أخطأ فى تشبيه الشمس بالهرة لانها لا تأكل أولادها وأنا لا أنقد شوقى رحمه الله فقد بينت من أين أخذه ولكنى أعجب كيف جازت هذه الملاحظة على الدكتور طه حسين وكيف خفيت عن نظره عند نقده هذه القصيدة بل أظنه مدح هذا البيت فيما مدح من أبيات هذه القصيدة — ما علينا ولنعد الى الهر فهذا قيل أنه خلق من عطسة الاسد لما كان مع نوح فى السفينة ولذلك فهو أشبه الحيوانات بالاسد ونفسى تحدثنى أن الشاعر القائل

---

١ — مثل عامى : الرب عسل يتخذ من نبات يضاف الى السمن حتى لا يتغير طعمه فى عقابة فى نهايته . مثل يضرب لمن يستسهل الشىء فيقال له انتظر النهاية .

أسماء مملكـــة فى غير موضـــعها
كالهـــر يحكى انتفاخا صولة الاسد

قد سرق المعنى من هذه الوثيقة التاريخية عن كتاب عجائب المخلوقـات وأظن الشاعر قال : كالهر يحكى انتفاخا (صورة) الاسد فحرفها الرواة الى صولة أى أن الهر يحكى الاسد فى النفخة والفشة (ومن يشــابه أبه فمــا ظلم) • وليس ببعيد ما ادعى هنا أن الشاعر سرق المعنى من قولهم آن الهر خلق من عطسة الاسد • فقد ادعى الشريشى فى شرح مقامــات الحريرى أن الشاعر سرق قوله :

الى الله أشــكو أننــى كل ليلـــة
اذا نمت لم أعــدم خــواطر أوهام
فــان كان شرا كان لا بــد واقعــا
وان كان خيرا كان أضــغاث أحلام

من حكاية لاشعب الطماع قال : رأيت رؤيا نصفها حق ونصفها باطل • قيل كيف ذلك يا أشعب أفندى قال : كنت أرانى أحمل بدرة فمن ثقلها وفرحتى بها سلحت فى ثيابى اثم انتبهت فاذا السلحة فى ثيابى وليس هناك بدرة ! وهذا استنباط عجيب من الشريشى ونظر دقيق وعلى ذكر ســلحة أشعب تذكرت ما يناسب المقام • قال شاعر يهجو أبخر اسمه زريق :

أعطــى زريــق قطــــه لقمــــة
قــد لاكهــا فى فمه الابخـــر
فبــادر القطـ الــــى دفنهـــا
يحســبها من بعض ما قــد خرى

وقال شاعر يهجو شاعرا :

افعــل بشـــعر لك يا ســيدى
ما تفعــل الهــرة بالخــرء

وقال آخر يهجو رجلا دبابا ـ يدب فى الليل لجاراته ـ كفيوان دب الى قرنب والقرنب هو الفــأر •

وقال تأبط شرا يصف الغول وحسب الهرة شناعة أن يشبه بها الغول :

فشدت شدة نحوى فأهوى
لها كفى بمصقول يمانى

لها عينان فى رأس قبيح
كرأس الهر مشقوق اللسان

ومن أغرب غرائب الذوق وأعجب التمنيات قول محمد بن حازم الباهلى : ما بقى علـىَّ شىء من اللذات الا بيع السنانير قيل له ويحك وأى لذة فى بيع السنانير ! ؟ قال : يعجبنى أن تجىء العجوز الرعناء تخاصمنى هذا سنورى سرق منى فتخاصمنى وأخاصمها وتشتمنى فأشتمها وأغيظها فأنظر الى ذوق هذا الشاعر وأتعجب من فكره كيف لم يجد ما يثير الخصومة مع العجائز الا السنور وقد صدق فانه رأى السنور كثيرا ما يكون سببا للخصومات والشرور •

والى هنا تكلمنا عن مقابح السنانير ولنذكر ما يستحسن لها • قال الشاعر وأظنه كنى معشوقته بهريرة :

ودع هريرة ان الركب مرتحل
وهل تطيق وداعا أيها الرجل

وشبهوا بذنب السنور نوار الخلاف فقالوا :

والبان تحسبه سنانيرا رأت
بعض الكلاب فنفشت أذنابها

وشبه حسان مكانا فقال :

يريد كأن الشمس فى حجراته
نجوم الثريا أو عيون الضياون

ولأبى نواس فى الخمر :

وصفراء قبل المزج بيضاء بعده
كأن شعاع الشمس يلقاك دونها

ترى العين تستعفيك من لمعانها
وتحمر حتى ما تقل جفونها

كأن يواقيتا رواكد حولها
وزرق سنانير تدير عيونها

وقال آخر يفتخر بأن مؤنسه فى وحدته هرته

اذا ازدحمت هموم النفس قلنا
عسى يوما يكون لها انفراج

نديمى هرتى ، وأنيس نفسى
دفاتيرى ومعشوقى السراج

وقد سلمت أمرى لله حينما علمت أن فى الحديث الشريف أن امرأة دخلت النار فى هرة وقلت : سامح الله العلماء فقد كتبوا وكتبوا فى معنى (فى هرة) وهل معناه فى شأن هرة أم من أجل هرة ! وان فى هرة من الايجاز ومن دلائل الاعجاز ولكنى لا أشك أن هؤلاء العلماء عقولهم (فاضية) أى بالتعبير العامى مستريحة لا فارغة فلو لم تكن مشحونة بالعلم ما كتبت ولا جادلت فى هرة •

ولقد غاظنى ذلك الشاعر البغدادى الذى مات له هر ـ الى جهنم أو سقر وبئس المقر ـ فرثاه بقصيدة تزيد عن الستين بيتا وفيها من الحكم

والامثال ما تأسفت على أنها جاءت فى رثاء هر ولكن هون على قلبى أنهم قالوا رثى بتلك القصيدة ابن المعتز حين قتله المقتدر وكنى عن ابن المعتز بالهر قال ابن العلاف وهو شاعر الهرة :

يا هـر فارقتنـا ولـم تعـد
وكنت عنـدى بمنـزل الولـد

فـكيف تنفك عـن هـواك وقـد
كنت لنـا عـدة مـن العـدد

تطـرد عنـا الاذى وتحرسـنا
بالغيب مـن حيـة ومـن جـرذ

وتخـرج الفـار مـن مـكامنها
مـا بين مفتوحهـا الـى السدد

تـدخل بـرج الحمـام متئـدا
وتبلـع الفـرخ غـير متئـد

وتطـرح الـرأس فى الطريق لهم
وتبلـع اللحـم بلـع مزدرد

ومنها أبيات سارت سير المثل :

لا بـارك الله فى الطعـام اذا
كان هـلاك النفـوس فى المعـد

كـم دخلت لقمـة حشـا شره
فـأخرجت روحـه مـن الجسد

ومن أمثالهـا :

صـادوك غيظـا عليك وانتقموا
منـك وزادوا (ومن يصد يصد)

ومـن حـكمها :

عـاقبة الظلـم لا تنـام وان

تأخـرت مـدة مـن المـدد

واشتهرت قصيدة ابن العلاف هذه حتى عدت كعينيه ابن زريق :

لا تعـذليه فـان العـذل يولعـه

وكنونية ابن زيدون :

أضـحى التنـائى بديلا من تدانينا

وكسـينية البحترى :

صـنت نفسـى عما يدنس نفسـى

ولاميـة العجـم :

أصـالة الـرأى صـانتنى عن الخطل

وأصبح هر ابن العلاف مشهورا كبغلة أبى سلامة وطيلسان ابن حـرب وشاة أبى سعيد ٠ ولله فى خلقه شؤون ٠ وضربوا الامثال فقالوا : أبر من هرة وانزى من ضيون ٠ وآدب من ضيون ٠ بل منهـم من عـده مـن الحيوانات المفيدة كالنحلة ودود القز لان الزباد يخرج من القط ٠ وهناك حجر يسمونه عين الهر وذكروا له من الفوائد ما يضارع الراديوم ولـكن رضى الله عن داوود الانطاكى فقد قال عين الهر حجر لا نفع فيه ٠

وقد عددنا من أسمائه خلال هذه السطور شيئا ونسينا أشياء فمنها الخيطل ولا أذكر الا شطرة من بيت يقول :

كالهـر مرتعـدا تجـاه الخيطل

وقد قرأت فى هذه المجلة فى قصيدة قول القائل يصف حالة الموظف [١] :

١ ــ يقصـد نفسـه ٠

لا يـزال المسـكين فى رجفـة الـ
ـفار مـع الهـر يتقـى أظفـاره

ولا شك أنه سرق هذا البيت من الشطرة المذكورة . ومن أسماء هـذا الحيوان : الدم والخيدع ولكنى لم أجد لهما شاهدا من الشعر .

وأخيرا نرجع الى عنوان مقالتنا « القطوس » وقـد انتخبت هـذا الاسم عنوانا لأنى سمعت أن القطوس ليس من الكلام المولد مثل «البسه» بل هو اسم عربى وهذا دعوى الاستاذ البرعصى وأنشدنى شاهدا علـى صحة نظريته هذا البيت :

اذا سـبح القيطوس هـم بسرقة
فحـاذر من القيطـوس حين يسبح

وهو يرويه بالياء والسين ووالله العظيم لقد راجعت معـاجم اللغـة فمـا وجدت لهذه الكلمة أثرا ولكن الاستاذ الراوية متشدد فى رأيه فالعهـدة فى رواية القيطوس أو القطوس فى رقبته .

هذا مع أن ابن دريد يقول ان كلمة القط ليست بعربية فهى مـن الدخيل فليسمع أستاذنا ولكن سبحان معلم الاسماء وقد يوجد فى النهر ما لا يوجد فى البحر . وأرانى استطردت حتى مللت ولنعد الى حكايتنا فقد قلت أنى أصبحت أرقب الأربعين وما زلت «أعد الليالى ليلة بعد ليلية» الى أن نقزتها والحمد لله ومـع ذلك لم يطمئن قلبـى حتـى جـاوزت الثمانين وأنشدت فرحا مسرورا

« ان الثمـانين وبلغتهـا »

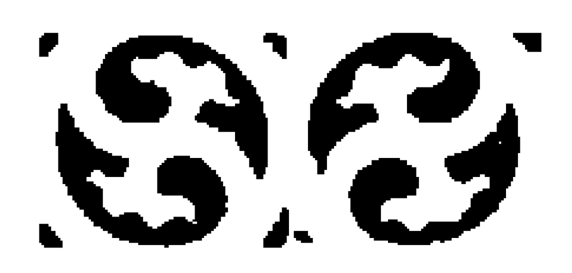
ولكنى ما أزال كلما سمعت صوت هرة يقشعر جلدى وتقف كل شـعرة فى بدنى وأنا الآن أعترف وأقص حكاية الماضى وأسائل نفسى أليست هذه الكتابة ضربا من الجنون وان كنت مجنونا ألا يكون جنونى من تلك العضة فترانى ما زلت أوسوس . ونختم بهذه النادرة وهى حقيقة واقعة

حدثنى بها السيد كنوش [1] قال : كان رجلا نائما مع زوجه وبعد نصف الليل ضربها ففقأ عينها فأصبحت عوراء ! والسبب هو أن المسكين رأى فى نومه كأن له عصفورا فى قفص جميل . ورأى كأن هرة خطفته فجمع قبضته وخبطها بكل قوته فأصابت زوجته .

وهذه واحدة من كثير لا يتسع المقام لسرد حكايات من هذا النوع ونكتفى بما أمكن والله يحفظنا من القطاطيس .

ليبيا المصورة ــ العدد ١١ ــ السنة الثالثة ــ اغسطس ١٩٣٨

ليبيا المصورة ــ العدد ١٢ ــ السنة الثالثة ــ سبتمبر ١٩٣٨



١ ــ السيد محمد كنوش شقيفة كان من الشخصيات الظريفة فى بنغازى . شغل كثيرا من الوظائف الحكومية فى العهد التركى والايطالى والانجليزى وعهد الاستقلال وقد توفى رحمه الله حوالى ١٩٦٨ م .

الحق مع رشيد

الوطن ـ العدد ٥٩ ـ ١٩٤٧/٢/٤

كنت أول من عارض رأى مقالة « رأى حر » منذ سنة حين دعا صاحبها الى التفرقة وعدم الوحدة ولم أحابه وهو أعز صديق لى وأقدم حبيب وما زلت ولا أزال . (أقول للاعور يا أعور) . أما اليوم فرأيه فى ميثاق الجبهة هو رأى حر حقيقة . وانتقاده لنشر ميثاق لم يقره أعضاء الجبهة انتقاد فى محله وله الحق فى ذلك بصفته عضوا وسكرتيرا . ومن الظلم والمغالطة أن يقال أنه سعى لتفكيك الجبهة كما سعى لتفريق الوحدة. فالحق أن سعيه هذا لاصلاح الجبهة وخيرها وان مقاله لا كما يقول الاستاذ صالح « لا جوهر له سوى نقد لمؤسسة هو عضو فيها » بل له جوهر وروح ومعنى هو دعوة هذه المؤسسة الى الشورى ومبادىء الديمقراطية وعدم « التحكم ومحاولة الدكتاتورية » على حد تعبيره .. قل لى يا أستاذ صالح أمن الحق أن ينشر مشياق لم تقره هيئة الجبهة ولا يعلم بنشره واحد من ثلاثة كتاب فيها . أليس هذا النشر افتئاتا على حقوق الاعضاء المحترمين وعدم حساب لوجودهم ان لرشيد بك الحق وكل الحق ان يحتج على هذا التصرف الذى لا علم له به وهو سكرتير . انه يقدر المسئولية فى ضميره ومن الشعب أيضا ولا يرضى أن يتقول أحد فى الجبهة لو أن تأتى الجبهة بحركة تلام عليها وهو عضو فيها وعليه جانب المسئولية فعمله هذا هو لا شك فى صالح الجبهة لا لضررها أو تفككها .

لا تؤاخذنى يا عزيزى صالح ان قلت لك أن هذا تدخل منك لانك لست من أعضاء الجبهة وأعضاء الجبهة هم أحق بالاجابة فمالهم سكوت لا ينطقون لعل هناك سرا ليس لك الحق أن تخوض فيه أنت ولا غيرك ولا

أنا أيضا بعد استقالتى ثم ما يدريك أن أعضاء الجبهة المحترمين أكثرهم أو كلهم على رأى رشيد ومؤيدون لرشيد هذا وليس فى رأى رشيد تناقض كما ذكرت حتى يقف مستريبا لان مقالة رأى حر منذ سنة غير انتقاد نشر الميثاق اليوم فما دخل الوحدة فى ميثاق الجبهة المهم أن مقالك هو الـــذى يقال فيه أنه أشبه بالقنبلة تلقى فى المجتمع المتبلبل .

وأخيرا أطلب من الحاج رشيد بك البر بوعده فى مقاله السابق ليشرح على الملأ رأيه فى الميثاق وما يراه فيه (من شذوذ لا ينطبق مع المنطق والعقل السليم) ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حى عن بينة وعساء ولعله يقنع لنا محامى الجبهة المتطوع فى سبيل الله .



لا أفعال ولا أقوال

الوطن ــ العدد ٨٠ ــ ١ يوليو ١٩٤٧

قرأنا مقال سعادة مدير المطبوعات المنشور بجريدة برقة الجديدة تحت عنوان « أفعال لا أقوال » وفيه شرح كيف نفذت الادارة العسكرية وتنفذ توصيات لجنة العمل التى وافقت عليها وزارة الحربية البريطانية ثم شرح ما تم تنفيذه وتطبيقه من الاعمال فى سبعة مواد لم يأت فى واحدة منها أن عملا من الاعمال قد تم ما عدا ما جاء فى المادة الاولى وفيها (قد تـم اصلاح ٦٥ بئرا) أما باقى المواد فكلها مشاريع يقول عنها سيجرى العمل فيها . أو العمل جار أو اعتمدت مبالغ واسعة أو اتخذت اجراءات لعمل كذا أو تم التصديق على عمل كذا وكذا فنراها كلها ما زالت مشـاريع لم تخرج الى حيز العمل ولم ينفذ منها شيء للآن ونحن نريد أن نسأل عن قيمة تلك المشاريع المزمع تنفيذها هل هى كلهـا ضرورية لبـلادنا (فى الوقت الحاضر) أو منها ما هو غير ضرورى كما سنبينه فيما يأتى . وهل يتناسب صرف المبالغ اللازمة للقيام بتلك المشاريع مع ميزانية البلاد المالية وحالتها الاقتصادية أو هى مصاريف لمشاريع نرى أن الضرر الذى سينجم عنهـا أكثر من المنافع التى ستفوز بها البلاد ؟؟

هذان سؤالان نريد أن نحللهما لنعرف نتائجهما فنقول . هل هذه المشاريع كلها ضرورية لبلادنا (فى الوقت الحاضر) ونجيب أن بعضـها ضرورى وغير ضرورى بل الشروع فى تنفيذ بعضها يأتى بضرر كبير للبلاد مثال ذلك مشروع الانشاءات وتصليح المبانى وترميمها هذه المبانى التـى هدمتها الحرب لا يمكن أن نقبل تصليحها وترميمها الا من مال التعويضات

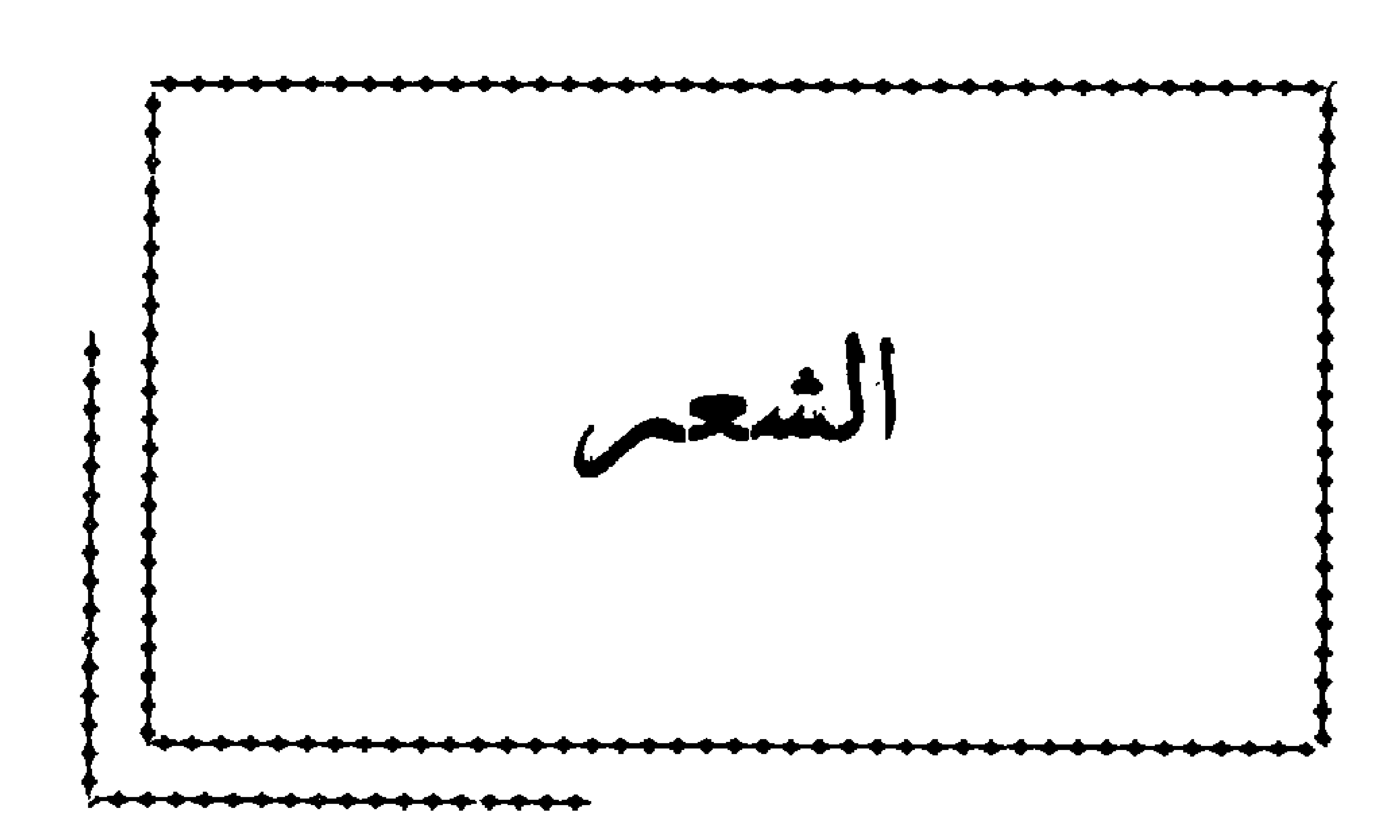
التي تستحقها هذه البلاد وتطالب بها كحق شرعي أما أن تصرف الادارة العسكرية مبالغ لانشاءات تكون فيما بعد دينا على البلاد وعجزا في الميزانية فهذا لا تقبله ولا نرضى به لاننا لا نشك في ان ذلك يعود على البلاد بالضرر ويورطنا في ديون باهظة لا قبل لنا بتسديدها . فيتبين مما ذكرنا أن مشروع الانشاءات والترميم والتصليح وخاصة في المباني التي لا يستفيد منها الوطنيون والتي هي لاغراض حربية كالتي في طبرق ان تلك المشاريع حتى لو كانت مما أوصت به اللجنة المحترمة وصدقت عليه وزارة الحربية البريطانية فاننا نحن أهل البلاد نرى أنها غير ضرورية (في الوقت الحاضر) ولا نرضى باجرائها بل كان أولى باللجنة أن توصي بالتعويضات ودفع حقوق المتضررين من جراء الحرب ليقوموا هم بأنفسهم وبأيديهم وبمالهم بتصليح وترميم وانشاء أملاكهم ولا لزوم لتصليح ما هو غير ضروري مما يكلف البلاد ديونا ثقيلة .

أما مشروع الزراعة . نرى سعادته يقول بأنه قد صودق على مشروع زراعي (تعاوني) يشمل ٢٢٠ مزرعة (وقد تم اختيار المؤجرين ؟؟) وفي نهاية الفقرة يقول (وستدار المزارع على أساس تعاوني) . المفهوم من هذا الكلام أن المزارع التي سيجري اصلاحها ستكون خصوصية لا يستفيد منها عموم الزراع الفقراء الكثيرين لانه قد تم في شأنها (اختيار المؤجرين) الذين سيديرون المزارع على أساس تعاوني . وكلمة تعاوني هذه في الحقيقة غامضة لم تستطع فهم المراد منها . ان هذا المشروع الزراعي اذا تم لا سامح الله على هذه الصورة فسيكون نفعه ان كان هناك نفع لاشخاص قليلين وقع عليهم الاختيار مقدما . وسيحرم منه ومن فوائده عموم الزراع الكثيرين غير المختارين وسيجلب ذلك سخط عموم الزراع والسواد الاعظم من الاهالي وفضلا عن كونه يعود بنا الى المعاملة التي كانت تجري في روسيا القيصرية ويذكرنا بتسلط الرأسماليين على الفقراء نرى فيه ضررا بالغا للبلاد عموما لانه كما قلنا سيحرم أكثرية الزراع اللذين عليهم المعول في الانتاج وكثرة المحصول اللازم لضروريات وحاجة البلاد

واليك البرهان ـ كان أهل هذه البلاد قبل احتلال ايطاليا وقبل انشاء المزارع الفنية (كالتي تريدون اصلاحها الآن) وقبل أن توجد الآلات الزراعية كانوا يقومون بالزراعة بمحاريث خشبية على حيوانات ضعيفة وبآلات أولية بسيطة ومع ذلك كانت البلاد تصدر للخارج كميات وافرة من الغلال بعد الاحتفاظ بحاجاتهم وفوق حاجاتهم • فأين الآن ذلك المحصول مع وجود المزارع الفنية •• أين ذلك الخير الفياض من يد الفلاح البسيط بوسائله البسيطة • لقد أصبحنا محتاجين الى حفنة من الشعير فلا نجد الى الوصول اليه سبيلا ولا الحصول عليه بالثمن الغالي والطلب الملح • فما هو السبب يا ترى •• السبب هو قلة الزراع واحتياجهم الى المعاونات المالية لا غير •• فالارض هي الارض التي كان يعمرها آباؤهم وأجدادهم بأيديهم ومناجلهم ولم يكونوا محتاجين الى مزارع فنية كالتي تريدون أن تصرفوا على تصليحها المئات والالوف أليس من المعقول أنه بدلا من الصرف على اصلاح المزارع وتأجيرها لاناس معدودين وتكليف البلاد دينا عموميا يترك في الميزانية عجزا (كان مقداره في السنة الماضية خمسمائة ألف جنيه) أليس بدلا من كل ذلك وأعم نفعا للزراع خصوصا والبلاد عموما فتح قروض مالية للزراع الصغار يؤدونه يوم حصادهم فلا يحرم العموم ولا يتضرر أحد وتكثر الحركة الزراعية وينشط العامل الفقير وتعم البركات • هذان مثالان اكتفى بهما عن سرد بقية المواد وتجريحها واحدة واحدة لاني أرى فيهما دليلا كافيا على تأييد رأينا في أن هناك مشاريع غير ضرورية • وأرى فيهما شرحا اضافيا لسؤالنا الاول وهو قولنا (هل هذه المشاريع كلها ضرورية في الوقت الحاضر) : ثم نعود الى السؤال الثاني وهو (هل حالة البلاد المالية تساعد على صرف المبالغ اللازمة لهذه المشاريع في الوقت الحاضر) فنقول :

ان حالة البلاد الاقتصادية لا تسمح بصرف هذه المبالغ لهذه المشاريع ولو كانت ضرورية • ولماذا • لاننا لا نريد أن نتحمل بديون لا قدرة لنا على تسديدها • فما أغنانا عنها نعم لم نستدين ؟ ونتورط لاجل مشاريع

غير ضرورية . ولنفرض أنها ضرورية فلنصلح ما يمكن اصلاحه على قدر استطاعة ميزانيتنا الى أن يتقرر مصيرنا وتتشكل حكومتنا التى يمكنها أن تقترض على مسؤوليتها وبقدر مصالحها وبمعرفة رجالها المسؤلين العارفين بدائها ودوائها ومصالحها ومضارها . فلا لزوم اذن لان تتفضل علينا الادارة العسكرية بالصرف كما تريد هى على مشاريع ربما تعود منافعها عليها وعلى الاجانب أكثر مما تعود على البلاد وأبناء البلاد لاننا لا نشك أنها فى السنة الحالية ستطلع علينا بميزانية مختزلة نجد فيها أن الواردات كذا والمنصرفات كذا والعجز يعلم الله كم سيكون هذه السنة بعد تفنيد تلك المشاريع المباركة نعم نجد ذلك كما وجدناه سابقا فلا نستطيع أن نسأل لم لا تكون الواردات أكثر مما هى ولم ؟ وفيم ؟ ومتى ؟ وكيف؟ وعلى من صرفت تلك المصاريف؟ . وحتى لو استطعنا أن نسأل كما سأل سائلنا من قبل تحت عنوان (من المسئول) فلا جواب ولا حساب اننا نطالب باجراء ما هو ضرورى كالتعليم وتنظيم المياه وغير ذلك مما لم يخطر على بال اللجنة المحترمة وله مساس قوى بحالة البلاد نطالب بأشياء كثيرة ضرورية جدا وكلها نريد تنفيذها بشرط أن تكون فى استطاعة ميزانيتنا بحيث لا ترهقنا صعودا ولا نزولا . وبشرط آخر أساسى وهو أن تزيد تلك المشاريع الخيرية باستشارة أهل البلاد وموافقتهم وتشريكهم فى العمل رأيا وفعلا ومسؤولية . ومما لا شك فيه أن أى عمل يصدر فى هذه البلاد تحت هذه الادارة المؤقتة لا تتحمل بأى مسؤولية له مادية كانت أو معنوية الا أن يكون باشتراكنا فعلا فى الادارة برجال تتخيرهم الامة وتعتمد عليهم وعلى اخلاصهم لوطنهم . برجال منتخبين انتخابا لا معينين تعيينا ولا موظفين توظفا . برجال لا سلطة عليهم ولا ارادة تدير ضمائرهم الا ارادة الشعب ومشيئة الامة .



الشعر

الى اللورد ملنر [1]

أقــول ومــا بــمديحك فى مــرادى
فلســت أشــذ مــن بين العبــاد

علــى أنــى أقــول ولا أبــالى
بــأنى لــم أقــل الا اعتقــادى

نظــرت بلا هــوى فيمــا بــدالى
علــى أنــى أعــد علــى الحيــاد

أراك خــدمت بالاخــلاص حتــى
جهــدت ولــم تقصر فى الجهــاد

وانــى أعشــق الاتقــان حتــى
ولــو فــى الشر من بعض الاعــادى

وانســى لا أبــالى أى أمــر
أتيت يــكون فــى نفــع البــلاد

ذكــاء منــك أن أخفيت حقــا
بــزور كالغــزالة فــى الغــوادى

---

١ ـ قيلت بمناسبة الثورة المصرية عام ١٩١٩ ضد وجود القوات البريطانية وللمطالبة بالاستقلال التام وازاء اشتداد الحال ارسلت الحكومة البريطانية وفدا برآسة اللورد ملنر لدراسة الحالة فى مصر ولكن المصريين رفضوا مفاوضتها .

وبعض ذكـاء أقــوام لســوء
كمـاء المـزن فى شـوك القتاد

ونـار الحق لا تخبـو فحتمـا
تشـب وان غـدت تحت الرمـاد

جهـادك مخلص والقصـد سـوء
كحل المـال فـى الصرف الفسـاد

ومـا الاخـلاص فى الاعمـال الا
بمنزلـة الوتين مـن الفـؤاد

فمـن للشرق اخـلاص وجـد
كجـدك لو تصرف فـى رشـاد

وذو الـرأى الـذى بالغير أضـحت
لـه عبر تقـود الـى السـداد

الى الشرقـى لـو بالفـكر أمسى
يـرى فـالعين حتـى للجـراد

خـذ اللب النقـى ودع قشـورا
فـان القشـر ينبـذ بالبعـاد

و (ملنـر) لو ترى مثـلا عظيمـا
يهيبـك ان تميـل الـى الرقـاد

فيـا شـبحا لنجـم السـعد ضـد
وضد السـعد نحس فـى اعتقـادى

فمـا بيضـت فى التـاريخ صـحفا
ولا سـلمت رقـاعك من سـواد

فـلا ذمـا هجـوت ولسـت تخلو
ولا مـدحا تقـول من الاعـادى

حريق سوق الظلام [1]

١٩٢١م

سوق الظلام وزرع هذا العام
رميا من المولى بذات ضرام

تركتهما للعين قاعا صفصفا
وكذا تكون عواقب الآثام

سوق الظلام ولم تزل أنقاضه
يرتد ناظرها بقلب دام

لم يندمل جرح أصاب قلوبنا
حتى تلاه أنكأ الآلام

زرع نمى حتى اذا فرحوا به
أضحى كأن لم يغن بعد تمام

هذا جزاء أقل شيء فعلنا
ما كان جل الله بالظلام

لا يفلح المال الذى لم يجتمع
الا بفحش من ربا وحرام

---

١ ـ فى عام ١٩٢١ م اصيب سوق الظلام فى بنغازى باندلاع النار فيه لان اكثره من خشب ، ابوابه واسقفه وضاع فيه مال كثير ، نقد ، حلى ذهبية ، فضلا عن انواع الاقمشة ولم تكن النكبة قاصرة على هذا بل كان الجدب عاما فى تلك السنة وقد علل الشاعر سبب النكبتين حسب تصوره .

رثاء الشيخ سليم البشرى

شيخ الجامع الازهر السابق توفى سنة ١٩١٦

الله أكبر قد تغيب بدرنا
تحت الثرى فلتبكه البلغاء

فلترثه الشعراء بل فلتلبسن
ثوب الحداد لفقده الادباء

وليأسفن لفقده كل الورى
ولتشترك بحداده الحكماء

حتى المنابر تكست بل أخرست
فوق المنابر بعده الخطباء

هل بعد مرتبة وكانت فى العلا
أدنى المراتب عندك الجوزاء

أصبحت يعلوك التراب وأصبحت
تلك المحاسن وهى منك هباء

لكن ذكرك خالد بين الورى
كالشمس ليس لضوئها اخفاء

. . . . . [1] الجـــلال بلفظـــه

كانت للفظك تســجد الشـــعراء

زانتـــك فى أفق البلاغـــة حكمة

أبـــديتها ومـــآثر غـــــراء

لا تغدروا الشــعراء ان لـــم ينصفوا

فى حقـــــه فلعجـــزهم بـــرءاء

فالقـــدر جـــل كـــذا الفضائل نزهت

عن أن يعـــدد حصـــــرها احصــاء

لـــو تعلم الخنســـاء بعض صفاته

عن صـــخرها ما ناحت الخنســـــاء

بالله كيف عليـــه لا يأسى الورى

بل كيف لا تفـــدى لـــه العلمـــاء

قـــد مات كل الجـــود بعد مماتـــه

فلموتـــه قـــد مـــاتت الـــكرماء

والله أحـــزننى نـــواه وفقـــده

ولقـــد علتنـــى بعـــده البأســـاء

فبكيتـــه حتـــى فنيت مـــدامعى

ولقـــد رثيت اذا يفيـــد رثـــائى

---

١ ــ هـا هنـا كلمتـان غير واضحتين بسـبب تآكل الورق .

والله لا يجدى البكاء ولا الرثا

فحمامه قدر له وقضاء

وكذا حياة المرء آخرها وان

قد طال يعقبها بلى وفناء

وقد اقتضت حكم الاله فما لها

نقض ولا لمردها أدواء

فعليك من رب البرية رحمة

ما نمت فى غصنها ورقاء



رثاء الشيخ محمد بن عامر [1]

١٩٢٢ م

الخطب أعظم والمصاب جليل
فالصبر فى غير الملم جميل

ولكل عين حق أن تبكى دما
ولكل نفس لوعة وعليل

ان البكاء اليوم فرض واجب
حتى ولو لم يشف منه غليل

من كان يبكى الدين خوف فساده
فليبك بادر خوفه التعجيل

مات الذى كانت به أوطاننا
فى الدين يدرك عندها التأميل

مات ابن عامر فالانام مزعزع
خوفى عليه عن الرشاد يميل

---

١ ــ المرحوم الشيخ محمد بن عامر مفتى هذه البلاد وقاضيها . ولد بمصراتة سنة ١٨٣٤م تقريبا وتوفى ببنغازى سنة ١٩٢٢ م وفد الى بنغازى صغيرا وكان يشتغل بالتجارة وتحصيل العلم ثم جلس للتدريس مع اشتغاله بالتجارة واختير مفتيا لبنغازى وكان عضوا فى مجلس الادارة زمن الحكم العثمانى وله مواقف كثيرة فى الدفاع عن مواطنيه . ولما حصل الاحتلال الايطالى واصبح قاضيا كانت مهمته الجمع بين السياسة والدين وله مواقف مشهورة زمن الاحتلال الايطالى سواء من الناحية الدينية أو الناحية الانسانية واليه يرجع الفضل فى انشاء الجمعية الخيرية الاسلامية لحفظ البنات المسلمات زمن الحرب العالمية الاولى . لانقاذهن من براثن الجوع والفساد عند حدوث المجاعة فى داخلية برقة . ووفود الكثيرين الى بنغازى هربا من وطأة المجاعة من عام ١٩١٥ حتى عام ١٩١٩

يا من مضى عنـــا وأعيننـــا تـــرى
لـــم نـــأت ما عنك المنـــون يزيل

لو جاز أن يفـــديك أهل الفضـــل ما
وافـــاك أجمعهـــم وذاك قليـــل

ولئن ذكرتهـــم وأنت تفـــوقهم
فلقـــد فـــدى بالـــذبح اســـماعيل

لو كان يمكن أن نجيء بســـندس
كفنـــا فليس بعـــائق تعطيـــل

ولو اســـتطعنا فـــوق ذلك لم يكن
الا بمـــاء الـــكوثر التغســـيل

يا يـــوم ســـار النعش فـــوق رؤوسنا
يمشى الهـــوينا والعـــزيز ذليـــل

حفت ملائكـــة الالـــه بنعشـــه
من ذكرهـــا التســـبيح والتهليل

لو من وراء النعش أبصـــر فوقـــه
لـــرأى المـــلائك بينهـــا جبـــريل

لـــكنما خفض الخشـــوع رؤوســـنا
والـــدمع من بين الجفون يســـيل

فكأنمـــا لجـــلال موكبـــه بـــدا
بالنفـــخ يـــوم الهـــول اسرافيل

سار الجموع وكل موضع خطوة
جبلان من وزن الثواب ينيل

لو كل من خلف الجنازة مذنب
أمسى له الميزان وهو ثقيل

يا (مالك) الزمن الاخير بعلمه
قسرا بذاك عدوه وخليل

يكفيك فى القرآن ذكرك قد أتى
فى الراسخين وحسبك التأويل

وكذاك (لا خوف عليهم) ليس فى
أمثال هذا يطلب التفصيل

فى الله عمرا بالجهاد قضيته
كالليث أنت ودين ربك غميل

لم تأل جهدا فى الدفاع بهمة
فاقت شبا الصمصام وهو ثقيل

ما من سلاحك غير سنة أحمد
ان السياسة سبكها تضليل

نقل الكرام الكاتبون صحائفا
لك ملؤهن البر والتبجيل

مملــــوءة عمـــلا أذبت لأجلــه

جســـما تقضى العمر وهــو نحيــل

فاهنــأ عليك من المهيمــن رحمـــة

مــا قــد تولت بــكرة وأصـــيل

لو صـــح دفنك فى الجفــون لمــا بدا

يومـــا عليك مــن التراب مهيــل

أما القلوب فأنت والايمـــان فـــى

ســودائها وخــلاف ذاك دخيـــل

نبــكى عليك ولو أصــبنا لم يــكن

لــكنما وطء الفـــراق ثقيـــل

أنقــذت من دار يــدوم شـــقاؤها

مــا دام فيهــا والـــد وســـليل

ومتى صفت هــذى الحيــاة لعــاقل

والعيش هــم والحيـــاة رحيــل

كيف السرور بصـــحة وبســـلامة

والمــوت داء فــى النفــوس أثيــل

واذا علمت المـــوت فينـــا دواؤه

إن الصـــحيح اذا افتكــرت عليــل

نم فى ضريحك غير بال أعظما

ان الثناء بنشرهن كفيل

لا شك فى الفردوس دار نعيمه

ان الفعال على الجزاء دليل

لولا الاسى والحزن أثقل مهجتى

لم يكفنى لرثائك التطويل

فذكرت فضلك حسب ما هو واجب

ولو أن ذلك فى علاك قليل

فانعم برضوان الاله وجنة

فيها عليك من الغصون ظليل

رثاء الشيخ السنوسي الساقزلي [١]

أرق دمــع عــين كان بالامس راقيــا
وثجــج دمــا حتــى تخـد المآقيــا

فما الصــبر فى كل المواطن ممكنـــا
ولا القلب عــن كل الاحبــة ســاليا

ولا كل من يولى الجميل اذا مضــت
عليه ليــالى الدهر أصــبح ناســيا

أأنسى أيـــاد طوقتنــى بعرفهـــا
أبحت لهــا رقــى وما كنت جــازيا

اذا لســت للمعروف أهلا وموضــعا
ولا كنت تلميــذا لمولاى وافيـــا

فيــا قلب ذب حــزنا ويا نفس حسرة
ويا جفن لا ينفــك دمعــك جــاريا

أأخــدع نفسى أننــى اليوم صــابر
على هــول خطب يســتفز الرواســيا

---

١ ـ الشيخ السنوسى الساقزلى ولد فى بنغازى وكان من رجالاتها المعدودين وكان وكيل قاضيها ورئيس كتبة المحكمة الشرعية فيها فى الوقت نفسه . رجل عالم فاضل محترم من مواطنيه ، ترك المحكمة الشرعية عندما أحيل زميله ورئيسه المرحوم الشيخ محمد بن عامر الى التقاعد وهاجر الى الحجاز وفى الطريق اليه عرج على الاسكندرية وأقام بها أكثر من سنتين وتتلمذ عليه كثيرون كان من بينهم شاعرنا رفيق . وقد رأى حقا عليه أن يؤدى الواجب نحو أستاذه العزيز فرثاه بهذه القصيدة . ولقد وافته منيته بالاراضى المقدسة سنة ١٩٢٢ .

لعمـــرى لئن خاتلت تفســى تصــبرا
فلا الاجر مكســوبا ولا الصبر باقيا

يعــز على صـــبرى بأنى جـــازع
اذا ما أدلهــم الخطب واشــتد طاغيا

واما على مثل الرهــاب[1] الذى أتـــى
فلا خير لم يبق الزمـــان عواديـــا

أفـــى الـــدهر أدهى من وفاة معلـــم
مضى طـــاهر الاردان للبـــر ســـاعيا

مضى خـــادما للشرع للـــدين ساهرا
مضى طيبـــا عفـــا لمـــولاه خاشـــيا

لـــه البر والتقـــوى له العلم والحجا
له الشرع والفتـــوى له الـــكل باكيا

فقدنا بـــه مصـــباح علم ينيرنـــا
اذا ما ظـــلام الجهل أطبق داجيـــا

فقـــدناه نبراســـا فقـــدناه مصـــلحا
فقـــدناه أوابـــا الى الخير هـــاديا

قضى نحبه فى غربـــة وهـــو لاجـــىء
الـــى الله فى البيت المقـــدس نائيـــا

---

١ ــ الرهـــاب : النصال الرقيقة من نصال السهام .

لقـــد كنت للشرع الشريفه مهتـدا
لتفرق بين الحق والزيـغ ماضـــيا

وقد كنت للمظلوم نصرا وسـاعدا
وللنـاس هيـنـاً ليّـناً متغاضـيا

هجرت لخوفه الله أهــلا وموطنـــا
ومالا وجـاها كالسّـماكين عاليا

الا هـكذا الزهـد الصحيح وهكذا
ينـال ثواب الله من كـان راجيـــا

ومـــا الزهـــد الا ترك كل محبب
والا ارتخاص النفس ما كان غاليـا

أراد لك المولـى رضـى وسـعادة
فسـخر ما تبغـي ونلت الامانيـــا

فنجــاك فى أرض وبوّئت بعـزة
من النفس ان تلقى على الضيم ثاويا

ومـــا هنت فيهـا غير أن حميـــة
على الـدين شاءت أن تجوب الفيافيا

وصغرت الاســفار ، وهى ممضّـة
بعينك ، نفس لا تهـاب الـدواهيـا

وجشـــمتها مـا لا تطيق بهمــة

لهـا الشـيب والآلام ما كان وائيا

فـآواك مولاك الـكريم لبيتـه

على الرحب مقبولا فنم فيه هانيـا

جزاء علـى اخـلاص قلب وانمـا

لـكل امرىء ما كان فى القلب ناويـا

وهـذا جـزاء عاجـل قـد حبـاكه

فكيف الـذى ما زال فى الخلد باقيـا

نعيـم ورضـوان اذا مـا ذكرتـه

يخفف عنـى مـن فراقك ما بيـا

فراق بكت منـه البلاد ومـن بهـا

وأضحى له الاسـلام حـيران شاكيا

ألا أيها القطر النحيس لقـد عـدت

عليك الرزايا واعتـدى الدهر باغيـا

أصبت بجرح قـاتل بعـد قـاتل

مضـت عنـه أيام ولا زال داميـا

فبالامس من خطب ابن عامر لم تـزل

كئيبـا وذا خطب السـنوسى تاليـا

هما فرقدا هذى البـلاد وقـد خلت
سـماء لها من سـاطع كان باديـا

ألا أيهـا الشرع الشريف بقطرنـا
عليك سـلام الله أصـبحت خاويا

سـلام على قطـان برقـة بعـدما
خلت أرضـها من خير من كان حاميا

اذا فارق الليث الهصـور عرينـه
أيحرسـه ذئب ولو كان ضـاريا

أمولاى لولا الحزن أذهل خـاطرى
لـكنت جديرا أن أجيـد القوافيـا

ولـكننى فى من يعـزى بفقـدكم
وفى من له يهـدى الغريب المراثيـا

عليك سـلام الله مـا دام واحـدا
ومـا دام غفـارا وما دام هـاديا

الحزب الدستورى [1]

الحزب الدستورى العربى
ينبوع الباطل والكذب
قد لفق أحقر شرذمة
ما ينقصهم غير الذنب
قالوا : انا قوم جئنا
لندافع عن مجد العرب
كذب ، كذب ، كذب ، كذب
متأت من سوء الأدب
ما أنتم للطليان سوى
بقر للخدمة لا الحلب
وكلاب ليس لها أمل
الا فى المراتب والرتب

---

[1] تاسس سنة ١٩٢٠ م بعد اعلان القانون الاساسى لولاية برقة فى اواخر سنة ١٩١٩ م وكان هناك حزب آخر يسمى الحزب الديمقراطى وكانا فى مبدأ امرهما حزبين محليين ثم اصبحا سياسيين وهذا بطبيعة الحال من شأنه أن يجعلهما تابعين للحكومة فى سياستها ولهذا قال الشاعر ما قال .

البريد

ألـم يبلغـك مـا قـال البريـد ؟
هـــراء لا يضـــر ولا يفيـــد

مسيلمة الجـرائـد مـا تنبـأ
وزاد ، فـــدينه كفـــر جـــديد

تملق كـي ينـال رضـاء قـوم
فمـــا رضى الا لــه ولا العبيـــد

فمـــا ربحت تجـــارته فتيـــلا
ولا هـــو فـــى مســاعيه حميـــد

يلفـــق كـــل مـــكذوب وزور
وعمـــا كان مـــن صـــدق يحيـــد

نـــذير الشـــر لا يـــأتى بخـــير
تهـــددنا ليرهبنـــا الوعيـــد !

فـــلا تتعب فـــانا لا نبـــالى
أتانـــا قبلـــك الخـــير الســـديد

---

١ ـ يقصد بالبريد جريدة « بريد برقة » وهى جريدة سياسية انشئت سنة ١٩٢٢م وكان رئيسها المرحوم محمد المحيشى . حلت محل جريدة الحقيقة التـى كانت تصـدر فـى ذلـك الـوقت .

ودع عنك السياسة لست منها

فانك عن حقائقها بعيد

أينفع عندكم ورق وحبر

وما نفع الرصاص ولا الحديد

ستندم عن ملامسة الافاعى

اذا انقلبت غضابا يا بليد

اذا خان القريب ذويه جهرا

بربك كيف يأمنه البعيد

يسرون التبسم عنك هزوا

أتدرى قول مدين يا رشيد

ولكن البصيرة قد أصيبت

فليس يفيدك البصر الحديد

ألست ترى عيوبك كل يوم

بوجه لا حياء به تزيد

معان مثل ما يهذى مصاب

وأعراب كما نطق العبيد

عجبت علام يخرج ؟ لا بيان

ولا صدق ولا رأى سديد

كفـاك فضـحتنا فاذهب طـريدا

فيـوم فراقك اليـوم السـعيد

متـى تأتى لنـا البشرى بـأن قـد

تـوفى قبـل نشـأته الوليـد

لعمـرك جـاهل مـن يشـتريه

حـرام ذلـك الثمـن الزهيـد

فـلا تسـرف ولا تأمنـه يومـا

فيسـتهويك شـيطان مـريد

اذا جـاءوا اليـك بـه فعجـل

الـى الـكانون يصـحبك الوقيد

ولا تقنـع بتمـزيق فيبقـى

لـه فى النـاس مـكروب شـديد

مداعبة واعتذار

نبئت أنك تشكو وطأة الالم
عافاك مولاك فى الدنيا من السقم

لا يسلم المرء من داء ينغصه
وان نجا منه لم يسلم من الهرم

أجرا تنال ويمحو بعض ما اكتسبت
يداك فالله ذو لطف على الأمم

لا يبتلى مؤمنا الا وعوضه
أجرا بأضعاف ما قامى من الالم

اما ثوابا واما حسن تربية
تأتى بلطف وقد كانت من النقم

فالحمد لله فى الحالين منتقما
باللطف أم غافرا شيئا من اللمم

لكننا نتمنى أن تدوم لنا
فى صحة وافر النعماء والنعم

---

١ — فى عام ١٩٢٤م كان المجاهدون يغيرون على أطراف مدينة بنغازى وقد وصل الامر بالايطاليين فى ذلك الوقت الى أن يقسموا المدينة الى قسمين بحيث لا يمكن الانتقال من شمال المدينة الى جنوبها الا بعد الحصول على جواز مرور وكان المرحوم الحاج موسى البرعصى يسكن فى المنطقة الجنوبية من المدينة وتعرف « بسيدى حسين » وقد مرض ولم يستطع أصدقاؤه عيادته ومن بينهم الشاعر فأرسل اليه هذه القصيدة يشرح فيها الحال ويتمنى له الشفاء .

سلامة الجسم فى حال مقترة

خير من الداء فى عفو وفى نعم

فان سلمت ونلت العيش فى دعة

فالشكر لله هذا آخر القسم

وما سوى ذاك من خير فان له

يوم الحساب الها واسع الكرم

لكن أظنك ، يا موسى ، قد اجتمعت

ثلاثة لك فى حال فلا تلم

سقم بجسم ، وافلاس بذات يد

وقدرة ويد تعدو على الحرم

وما أبرىء نفسى فى محرمة

فالنفس أمارة بالسوء والتهم

انا نشابهكم ، لكن صحتنا

خير ولكنها الموجود كالعدم

وما وجودك شيئا طوله قصر

ما أقرب البون بين القبر والرحم

انى ليمنعنى من أن أزوركم

على اشتياقى هموم داهمت هممى

وقد أحاطت بأكناف ممانعة

احاطة الصور بالحراس والخدم

صور على كل باب ، مالك ، وله

فيه زبانية التعذيب بالقدم [1]

لا تسلك الريح الا وهى واجفة

مما نرى من عذاب غير منفصم

لو استطاعوا لسدوا عن مداخله

اذا أتت فى حماهم هبة النسم

صور كظاهره ويلات باطنه

ما فيه مرحمة حتى لذى رحم

ما فى المرور على حد الصراط كما

فى باب ذا الصور فى هول لمقتحم

كأنه سد يأجوج ونحن به

نموج فى الهم موجا غير منتظم

كيف السبيل اليكم ان ربعكم

يخاف طيف الكرى مرآة فى الظلم

---

١ ـ مالك : خازن النار شبه به المسئول على كل باب من الصور . بالقدم : الركل بالارجل لكل من يجتاز الابواب بدون اذن . صور : يقصد الحاجز بين شمال وجنوب المدينة مثلما أسلفنا وكان امتداد الصور من الشرق الى الغرب حيث الشارع الذى يفصل موضع سكة الحديد سابقا ومدرسة البنين بشارع فيومى .

انـى ليمنعنـى مـن أن أعــودكم

على اشـتياق حيـاء يسـتفز دمـى

فـــراغ كف وعجـز عـن معـاونة

لا خير فى الـود لم يثمر ولـم يـدم

ان الصـديق بلا جـدوى ومنفعـــة

لا خير فيـه كما لا خـير فى الصـنم

لـكننى مـوقن أنـى سـيشفع لى

لـديك علم بحـالى غـير مـكتتم

لمـا رأيت قصـورى فى مـودتـكم

وبان عـدمى لـكم أهديتكم كلمى

شـعرا وان كان لا يرضى الغبـى به

فالشـعر أحسـن ما يهدى لذى فهم

فاقبلـه من صـاحب ما زال فى خجل

ممـا جنتـه عليـه حرفـة القلـم

ذكرى صالح المهدوى [1]

صالح بن الحاج على المهدوى ولد فى ٢٦ شوال ١٢٩٣ هـ وتوفى فى ٢٣ محرم ١٣٥٣ هـ

وجدت هذه القطعة مكتوبة على شاهد قبر المرحوم « وهى لرفيق »

هنـا حل معـروف المروءة والنـدى
فقف بخشـوع واتعظ فهو (صالح)

هو المهدوى ان قلت سـميت سـيدا
تقصر عنـه فى الثنـاء القرائـح

هنـا أمل الراجـى هنـا غوث قاصد
هنـا رجـل كانت لـديه المصـالح

يزيـد علـى أهـل الذكاء ذكاؤه
وتصـدق آراء لـه ونصـائح

ثـوى كرم الاخلاق والفضـل ها هنا
وغـابت هنـا عنـا الخصال الصرائح

اذا شـهد الاعداء بالفضـل لامرىء
حيـا وعليـه جنـدل وصـفائح

وانـك حـى خـالد الـذكر سـائر
بصـيتك فى الآفـاق غـاد ورائـح

---

١ ـ ولد ببنغازى فى ٢٦ شوال ١٢٩٣ هـ وتوفى بها فى ٢٢ محرم ١٣٥٣ هـ
انظر صفحة ٢٢ من الفترة الثالثة ـ من ديوان الشاعر .

لقــد صـــدقت فيك المـــدائح كلهــا

وقـــد كــذبت الا عليــه النوائح

وقــد عــاش معــدوم النظير محسدا

تشــير اليـــه بالبنــان المـــدائح

ومــات . . . غــدا تاريــخ موته

لنــا (شــجن) يزداد ما صاح صائح



من رفيق الى توفيق

١٩٥٠ م

زواج بالبنين وبالرفاء
وبالعمر الطويل وبالثراء
وبالتوفيق يا توفيق يدعو
رفيقك بالبنين وبالرفاء
سررت بدعوة جاءت كبشرى
لذى يأس يؤمل فى الرجاء
ولو أنى استطعت لجئت أسعى
اليك ولو على متن الهواء
ولكن فاتنى الميعاد فاعذر
أخاك على التأخر فى اللقاء
ولست أظن أن لديك شكا
يؤثر فى اخائك أو وفائى
وأما بعد فاسمع يا (أخينا)
(وواجبنا) بصدق واعتناء

ولا تركن الى التمويه واحذر
مغـــالطتى بما لك مـــن ذكاء

فلا يخفى على (هامان) شيء
اذا (فرعون) مخرق بالدهاء

فقل لى أين وعـــدك لى بأنـــا
نـــكون أنا وأنت على ســـواء

وانـــا ان تزوجنـــا فانـــا
نـــكون على اتفاق فى البنـــاء

لعـــل الله يجمعنـــا بعقـــد
على أختين من خير النساء

فتصبح لى صديقا ثم صـــهرا
وتمسى لى قريبـــا فى الدمـــاء

ويبقى نســـلنا أبنـــاء عـــم
وخـــالات ونحن على صـــفاء

وكنت جعلت شرطك يا عزيزى
على استقلالنا وعلـــى الجـــلاء

وقلت اذا اســـتقلينا فانـــا
سنختم بالـــزواج وبالهنـــاء

فمـــا لك لم تشـــاورنى وماذا
جرى فيما عقـــدت من الولاء

أخنت الوعد أم أيقنت أنا
ظفرنا بالخلاص من البلاء

وان بلادنا فازت وصارت
من التحرير ما فوق الرجاء

أظنك لا تخاتلنى بزعم
وتضحك من يقينى بالمراء

والا يا أخى بالله قلها
ولو (فى شيشة) أى فى الخفاء

أحقا أننا الاحرار فيما
نريد من التصرف والقضاء

وان محبنا (جون بول) خفت
محبته الشديدة كالوباء

ألم تر كيف يبذل فى هوانا
من المنح العظيمة والعطاء

ويقسم أنه فى الحب أعلى
هوى من حب (أسعد) للثراء

سواد عيوننا لا بد منه
(بكيف أو بسيف) أو شراء

يغــار لأجلنا منــا ويخشى
علينا فى هــواه مــن الهــواء

ولســت أظن فيك الجهل حتى
أزيــدك كشف ما تحت الغطاء

فقد أغنــاك تجــربة وعلمــا
(غرسيانى) وأيــام الشــقاء

فكيف قنعت ثم رضيت حتــى
نسيت الوعــد فى غير اتقــاء

كلامك (موثق فى الرمل) أو هى
ولــكن كالنخالــة فى الهبــاء

يحاسبك الالــه فليس عنــدى
عليك من الحقوق سوى الاخاء

عسى فيمــا فعلت الخير انــى
لأخلص فى التمنــى والدعاء

أحب لاصدقائى كل خــير
كما أرضى لنفسى بالســواء

ولــكن الزواج زهدت فيــه
لســنى أو لضعفى وانحنائى

ولســت بزاهد فيــه كغيرى
ولا أنا فى اعتقاد أبى العــلاء

عمار الــكون من ذكــر وأنثى
اذا افترقا تــداعى للفنــاء

ولولا أمنــا حــواء ضــاقت
بآدم وحــده دار البقــاء

بلى ولعاش مجهولا فريدا
عقيمــا فى الجنــان أو السماء

يقضّى الوقت(فى نكد وحرب)
مع الشيطان فى نصب العــداء

فلولا المرأة الدنيــا ظــلام
هى السبب المولد للضــياء

رجال ذلك العهد

يصور رفيق ذلك العهد ويسخر من رجاله ويصورهم اقبح تصوير ويتهمهم بالتفريط في حق دينهم ووطنهم .

الـــى متـــى نحن فى هـــم وأوجـــال
نحيا على الضـــيم فى ســـجن وأغلال
فى بلـــدة كـــوجار الـــكلب منـــزلة
ضـــاقت بنـــا بين أعـــداء وجهـــال
هانت علينـــا ، وقـــد كانت محبتهـــا
فرضـــا على كل حر النفس مفضـــال
لو أنها مصر ما طـــابت وقـــد فعلوا
بنـــــا كفرعونهـــــا فـــى آل اسرال
فالقبر أفضـــل منها للـــكريم وقـــــد
ســـاماه فيها يهـــــودى وصـــومالى
كيف المقـــــام بأوطـــان يعـــذبنا
بهـــا العـــدو ويرمينـــا بـــزلزال
وربمـــا هـــان خطب النـــازلين بنـــا
لو لـــم يعززه خطب الصـــحب والآل

---

١ ـ يشير الى أن الســلطة فى يد الاعداء ، فاليهود مهمتهم استغلال الوضـــع السيء للمرابأة والصوماليون وهم المرتزقة الذين أتى بهم العـــدو يستغلون مركزهم فى الشعب ومحاولة التعـــدى .

نصف البلاء أتى من ظلم غاصبنا
والنصف منا بأحقاد وأذحال

نحصى العيوب وننسى عيب أنفسنا
وكلنا رازح منها بأثقال

يضيع الوقت فيما لا يفيد وقد
فاز اليهود بأعمال وأموال

تألفت أسوأ الاخلاق أنفسنا
حتى لقد ساء فينا كل بطال

انا لفى بلدة ضلت آكابرها
فكيف يسعد من فيها بآمال

كيف السبيل الى اصلاح حالتنا
ونحن بين ابن منحوس و • • • •

قاض قضى الدهر أن تشقى البلاد به
من جور حكم واغفال واهمال

يرضى بما يغضب المولى ويسخطه
ان كان فى ذاك ما يرضى به الوالى

يكاد يسجد للحكام مرتعدا
من جبنه بين ترحيب واجلال

لو أنهم أمروه أن يبيح لهم
نساءنا لأتى بالنص فى الحال !

تلاعبوا بأمور الدين عن يده
فكان عونا لهم فى كل أعمال

أفتى يفطر لأشرار تقاتلنا
مع العدو وباع الدين بالمال [1]

يفتى بوجه (صحيح) غير مستند
لمذهب أو لدين أو لأقوال

رد الذى جاء للاسلام معتنقا
فراح منه حزينا كاسف البال

قد أذهب الطيش عنه كل هيبته
فصار كالقرد يجرى بين أطفال !

يهز لحيته فى كل مجتمع
كالتيس غطى على قرنيه بالشال !

يظل فى الشمس كالحرباء منتصبا
يلوح ممتهنا فى البرنس البالى

ترى . . . . يحاذيه وجبته
كطيلسان ابن حرب ذات أذيال

مذبذب العقل كالخفاش مدعيا
للعلم وهو جهول بين جهال

---

١ ـ اشارة الى ان ابن منحوس القاضى أفتى للمرتزقة المسلمين بجواز الفطر فى رمضان غير عابىء بما يترتب على ذلك من ممالأة واعتراف بحق العدو فى مقاتلة الوطنيين .

فى كل يــوم تصــيب الــدين ســيئة
يظنهــا حســـنا من عقلــه الخــالى

عجبت من صــنم ترجــى منـــافعه
هل يوجــد العلم فى شخص كتمثال

أعمــى أصــم أنــاخ الــدهر كلكله
عليــه ثم كســاه ثــوب اعـــلال

قـــد أذهب الله عنــه كل طيبـــة
فلــم يــدع غير وســواس وأبــوال

ما زاده الشــيب الا العيب ثم جفت
أخلاقــه فبــدت فــى شر أفعـــال

يرمــى العبــاد بــكفر وهو أقربهــم
لــكل كفــر والحـــاد واضـــلال

يســب (عبده)[1] ويرميــه بفلســفة
أكرم بهــا مــدحة من حاســد قالى

نــور من الله (عبده) ليس يطفئـــه
مــن كل مثلك يا خفــاش بالقــال

ان العشــا فى بــلاد العمى محمــدة
لــذلك أنت فخــور فخــر مختــال

---

١ ـ عبده هو الامام المرحوم الشيخ محمد عبده من أكابر المصلحين فى العالــم الاســلامى . كان تلميذا ورفيقا للسيد جمال الدين الافغانى . توفى فى القاهرة عام ١٩٠٠ م .

كان ابن .... يا شـيطان من شـهب
لله تصـليك نـارا ذات أهـوال

أخفتك طلعتـه عنـا فـكنت تـرى
في قيمـة الـكلب بل في شر أحوال

حتى أتـى زمـن سـادت أراذلـه
فـكنت مـن بين أوبـاش وأرذال

اليك عنـى ودعنـى آننـى لسـن
تؤذى كلسـع شـواظ النار أقوالى

وليس هجـو عبـاد الله من خلقـى
لو أنهـم تركونـى حيث أشـغالى

مداعبات مع صديق

من جيحان ٨ مارس سنة ١٩٢٨ م

أحسنت يا مبروك في
حسن اختيارك للجمال

أرسلت لي رسما جمـ
يلا سرني وأساء حالي

كم قد سررت بحسنه
لكن ذكرت به غزالي

ثار الهوى والشوق في
قلبي وعاودني خيالي

أيقنت أنك ماكر تبـ
غي به اشغال بالي

فاعلم بأني لا تجو
ز على شيطنة الرجال

أتظنني غرا بما
لك من دهاء واحتيال

أنت الـــذى تلقى على الشــ
يطـــان درســا فى الضــلال

لـــكننى بـــك مـــعجب
جـــدا لمـــا الك من خيــالى

هيجتنـــى للشـــعر واســـ
تـــدرجتنى يــا ابن الحــلال

فاســـمع ولا تغضــب فمــا
غــير الحقيقـــة فى مقـــالى

فـــكرتنى مـــا مــر مــن
أيامنــا فـــى (النازيونالـــى)[1]

كنــا نــروح نغـــازل الحــ
ســـناء فى وقت الـــزوال

فتظـــل تســـقينا وتغـــ
رينـــا بأنـــواع الـــدلال

(وتســـيح) أنت تظـــ
نهــا عشــقتك يا عقل (العيال)

ونســـيت أنـــك عنــدها
ألعـــوبة (كالـــكرنفــال)

تلهـــو بعقلـــك يــا قلـــ
يــل العقل كى تحظى بمالى

١ ــ النازيونالى : كان مقهى فى بنغازى يجتمع فيه الناس للتسلية والترويح عن النفس .

كـم قـد صرفت من الـــدر
اهـــم للحصـول على وصال

وأظـل أضـــحك منــك حيـ
ـن أراك تطمـع فى المحـال

وأقـــول ســـبحان الــذى
أعطــاك حســنا (كالدكالى)

وأســـر ذلــك عنك خـــو
فــا منـــك يا فحــل الرجال

أخشــــى جنونــك أن يثـو
ر وأنت فى حـــال انفعـال

قـــل لــى بربــك كيف لـــم
تفطن لمـــا لــك من (هبال)

~~~~~~~~~~

أنســـيت حــين وقفت للمرآ
ة تنظـــــر باختيـــــال

وأنت لتســـخر منـــك وهــ
ــى تقول (بلونون شى مالى)[1]

وضــــحكت أنت وصرت تنــ
ـظـــر لليمين وللشـــمال

---

١ ـ كلمة ايطالية معناها : جميل لا باس به (BELLO NON CE MALE)
~~~~~~~~~~

وتـدير جسـمك كـى تـرا
لك بحسـن قـد واعتدال
وتعـوج الطـربوش (يـا
عينـى) وتـرطن بالايطـالى
ونسـيت اذ سـألتك عـ
نـى وهـى تعجب من جمالى

ورأيتهـا صـارت تحـد
ثنـى وتـكثر من سـؤالى
فحسـدتنى وأردت افـ
ـلات اقنيصـة من حبـالى

فـذكرت أنـى أجنبـ
ـى « شاعر » تركى (كمالى)[1]
وذكـرت افلاسـى لهـا
وفضـحتنى وكشـفت حالى

وفهمت قـولك يـا خبيـ
ـث النفس يا (دون) الفعـال
فهممت أن أهـوى الـى
خـديك صـفعا بالفعـال

لـكننى خفـت اندفـا
ع النـاس فى قيـل وقـال

---

١ ـ نسبة الى مصطفى كمال منشىء تركيا الحديثة وكان الشاعر يلبس على راسه (قلبقا) .

وصـــفحت عنــك وأنت كالا
مــوات مصــفر الخيـــال

ونسـيت فـى الاسـكندريـ
ـة حين رحنـــا للغـــزال

وأردت تحلق وجهــك الـــ
منحـــوس من غير اغتســال

فتمنـــع الحـــلاق مـــن
تــزيين وجـــه كالطحـــال

وكفـــرت أنت وصرت تشـ
ـتم بالقبيـــح ولا تبالـــى

أمـــا أنـــا فهـــربت مـــن
تلــك الفضـيحة والجـــدال

ولحقتنـــى عنــــد (المشـــخ
خــة) هائجـــا مثل الجمـــال

فـكتمت عنـــك الضـــحـ
ـك خوفا منك يا فحل الرجـــال

وغضـــبت منـــى لـــم تـــود
عنـــى قبيـــل الارتحـــال

ســـافرت مشـــتاقا الـــى
أنـــوار وجهــك ذى الجمال

متأســـفا اذ لـــم أمتـــ
ـــع ناظـــرى بـــك يا هلالى

لـــم أحـــظ منـــك بقبـ
لـــة يـــوم التـــرحل باحتيال

يا حســـرتى يـــا صـــاحبى
جـــدا علـــى تلك الليالـــى

مـــا زلت أذكـــر أنـــك
الخـــل الوفـــى بلا مثـــال

هـــذا مـــزاح يـــا أخـــى
حاشـــاك من ســـوء الخصال

فاقبلـــــه مســـــرورا ولا
تـــذهب لظن واحتمـــــال

انـــى صـــديقك لا أزا
ل وحـــق ودك غـــير ســـال

أرســـلت مزحـــا لا يســـوءك
فهـــو من عبث الخيـــال

فـــاذا رضـــيت بـــه فـــذاك
وان غضـــبت فـــلا أبالى !

عباقرة الناس بعد الممات *

الوطن — ١٤/٣/١٩٥٠ — عدد ٢١٩

نشرت هذه القصيدة ناقصة ورأينا ان ننشرها كاملة فى هذا المكان حتى لا تفقد قيمتها فى الفترة الرابعة من الديوان ص ١٩٧ .

ثم جاء المتنبى فشغل الناس — كما يقول ابن رشيق فى كتابه ((العمدة)) — ولم يخل زمن من ذكر للمتنبى دراسة ونقدا ، مدحا وحقدا ولكن : على قدر أهل العزم تأتى العزائم.
وهذا رفيق يصور المتنبى ابلغ تصوير

عباقرة الناس بعد الممات
يعيشون فى خالد الذكريات !
وتلك ، برغم المنون ، حياة
بها فاز مثل أبى الطيب !!

مضى ألف عام ، على موته
فما خفض الدهر من صوته !

---

١ — أبى الطيب : أحمد بن الحسين الجعفى الشهير بالمتنبى ولد فى الكوفة ٣٠٣هـ وكان شاعرا اخفت شهرته كل من تسمى بشاعر ولم يستطع أحد الصمود امامه اختص بسيف الدولة الحمدانى ، أمير حلب ، ومدحه واعتبره سيد العرب فى وقته ولم يبتعد عنه الا بعد أن كثر الدس ضده . وقصد مصر ومدح كافورا رغبة فى الوصول الى ما تطمح اليه نفسه :

اذا لم تنط بى ضيعة أو ولاية الخ

ولما أيس من الوصول الى ما يطمح اليه عند كافور تركه وهجاه هجاء مرا لاعتقاده أن كافورا كان يخشى بأسه ولذلك لم يرفض له طلبه الذى كان يقصده — صراحة — وانما كان يماطله .

وأيا ما كان فهو شاعر العربية غير مدافع ابتكارا وتنويعا وشدة أسر وقوة حجة . . . فى اكثر أحواله .

وتوفى ٣٥٤هـ بعد أن جاب الشرق العربى والاسلامى فى آسيا ثم فى مصر وقد ترك فى الدنيا دويا هائلا بشخصيته وشاعريته .

أنام ملء جفونى عن شواردها ويسهر الخلق جراها ويختصم

وما زال يرفع من صيته

ويشر من ذكره الطيب !

عظيم تفرد فى عصره

الى أن تنبأ فى شعره

وتاه ، على الدهر ، فى كبره

بنفس العزيز ، وعز الأبى !

فأشقاه ، فى العيش ، عزم جموح

وقلب الى (قلب) ملك طموح !!

وروح ، معذبة ، لا تبوح

بما تضمر النفس من مأرب !

لقد كان ، ذاك المرام الخطير

مثيرا لاحساسه المستطير

فينفث فى زفرة كالسعير

بشكواه فى شعره الملهب !

فما شكر كافور ، فى مدحه ،

على بخله ، وعلى قبحه

لبذل الجوائز أو منحه

ولكن (لنصب) على منصب !

وما كان في هجو حشاده ،
ولا في ازدراء لأنداده
مدلا بمجد لأجداده
ولا مستدلا بفخر الأب !

ولكن ! بنفس تحب العلا
وتأبى الخمول لها منزلا
الا هكذا ، هكذا ، أو فلا
حصول على المطلب الأصعب !

هوى النفس عند عظام الرجال
ضمير تدل عليه الفعال ؛
ويعرف منه الهوى والضلال ،
بما حاول المرء من مطلب !

فلا أطنب القول ، في وصفه ،
فلن أبلغ الحق في نصفه
وكيف لمثلي على ضعفه
يروم امتداح أبي الطيب !

هو الشاعر الاعظم الواحد
هو العبقري هو الشاهد
لنا بالفخار هو الخالد

علـــى الـــدهر فى الشرق والمغــرب

خلـــود الضـــوابغ والشـــعراء
يفـــوق العـــواهل والامـــــراء
فـــلا ذكـــر للجـــاه أو للثـــراء

كمـــا هـــو الشـــاعر المنجـــب

فيـــا أيهـــا النشء يا ابن الـــوطن
ويـــا مـــن نـؤمل فيـــه ومـــن
بـــه تتقـــى مـن عـوادى الـزمن

نجـــاح بـــلادك فـــى المـــكتب

ســـعادة داريـــك فيمـــا تجيـــد
وتعمـــل بالعلـم مـــا تســـتفيد
فـــان الســعيد الســعيد الســعيد

هـــو العـــالم الحـــق فـــى الأغلب

ومـــا الـــدين والعلـــم الا الصـــلاح
وتقـــوى المهيمـــن سر النجـــاح
وفى الخلق الســـمح كـــل الفـــلاح

وكســـب الثنـــا أفضـــل المكســـب

وشـــكرا لمـــن قـــام بالمهرجـــان
وشـــاد بتـــاريخ (بـــكر الزمان)[1]
لهـــم وافـــر الفضـــل والامتنـــان

علـــى حـــاضرى الحفل والغيب

---

١ ـ اشـــارة الى البيت المشـــهور فى رثائه :
ما رأى الناس ثانى المتنبى   اى ثان يرى لبكر الزمـــان

أنا ساكت

١٩٤٩

قـــالوا تـــكلم قلت لا حتى أرى
ما فى القضـــية مـــن طبيخ يطبـــخ

انـــى أخـــاف بأن أكـــون كزامـــر
للصـــم أو فـــى غـــير نـــار انفـــخ

قلبـــى يحـــدثنى بـــأن ممثـــلا
خلف الســـتائر للحقـــائق يمسخ

أمـــا الذى هو فى الحقيقـــة واقـــع
وطـــن يبـــــاع وأمـــة تتفسخ

ماذا أقـــول وما ترانـــى قـــائلا
انـــا ســـاكت لـــكن قلبـــى يصرخ

أبـــكى على شـــعب يسير أمـــره
متزعمون وجـــاهلون وأفـــــرخ

انـــى لأعجب كيف كل الناس لم
يتفطنـــــوا لمـــــدجل يتشـــيخ [1]

أفـــلا يخـــاف الله فـــى أوطـــانه
ان فـــــاته ان الزمـــان يـــؤرخ

---

[1] هذا البيت والذى قبله علق عليهما الشاعر بخط يده : (اشارة الى مستشارى الادارة البريطانية من العرب الجهال) .

نشيد الوطن

١٩٥١

نحن أهـل العـز أبنـاء الـوطن
نحـن أشـبال الحمى نحمى الوطن
من سـوانا يبـذل الارواح مـن
نحن نفـدى بالـدم الحـر الوطن

نحن أبنـاء الغطـاريف الاسـود.
سـنعيد المجـد حتما ونسـود
لا نبـالى بعـدو أو حسـود
لا نهـاب المـوت من أجل الوطن

نحن جنـد مسـتعد للـكفاح
ان دعى الداعى الـى حمل السلاح
فى سـبيل الفـوز بالحق الصـراح
نـرخص الغـالى لتحـرير الوطن

نحن نسـل العرب الغـر العظـام
أصـلنا قد سـاد بالعـدل الأنـام
فلنسـد نحن كما سـاد الـكرام
أو نخـوض النـار من أجل الوطن

كلنـا نسـال مـولانا القـدير
أن يعيش الشـعب وليحيـا الوطن

نحن ليبيون

نحن ليبيــون من نســل العرب
نحــن نعتــد بنفس ونسـب

قــد بنينــا الملك من أرواحنــا
واســتقلينا وأدركنــا الأرب

نحن بالأرواح نفــدى وطنــا
بالدم الغــالى جعلنــاه لنــا
ولأحفــاد بنينــا مســكنا

ليعيشــوا ســادة فى عــزة
فى حمى الاســلام فى مجــد العرب

نحن ليبيــون من نســل العرب
نحــن نعتــد بنفس ونسـب

قــد بنينــا الملك من أرواحنــا
واســتقلينا وأدركنــا الأرب

حسبنا مجداً على المجد القديم
أننا شــعب عصامــئى كريم

نحن ليبيــون من نســل العرب
نحــن نعتــد بنفس ونسـب

قــد بنينــا الملك من أرواحنــا
واســتقلينا وأدركنــا الأرب

النشيد الوطني الأخير

بلادي العزيزة خير البلاد
وقومي سلالة خير الجدود

أولئك أبطال ساح الجلاد
ونحن الأباة شبال الاسود

أبوتنا من بني يعرب
بهم فخرنا غير مستغرب
من الشرق سادوا الى المغرب

وشادوا الحضارة فى كل واد
وبالعلم والعدل ساسوا الوجود

بلادي العزيزة خير البلاد
وقومي سلالة خير الجدود

أولئك أبطال ساح الجلاد
ونحن الأباة شبال الاسود

ومن بعدهم نحن نحمى الوطن
ونفديه حبا بأغلى ثمن
اذا لم نذد نحن عنه فمن

سوانا يسجل يوم الجهاد
فخاراً عليه الليالى شهود

بـلادى العـزيزة خـير البـلاد
وقومـى سـلالة خير الجـدود

أولئـك أبطـال سـاح الجـلاد
ونحن الأبـاة شـبال الاسـود

بنينـا بأنفسـنا مجـدنا
ويبنيـه أبنـاؤنا بعـدنا
فـان حيـاة العـلا عنـدنا

أجـل مـرام واسـمى مـراد
نموت لأجل العـلا أو نسـود

بـلادى العـزيزة خـير البـلاد
وقومـى سـلالة خير الجـدود

أولئـك أبطـال سـاح الجـلاد
ونحن الأبـاة شـبال الاسـود

بهمـة قومـى بلغنـا المرام
صبرنا على الهول صبر الكرام
الى أن ظفرنا بأعلـى مقـام

وفزنـا بنصر ، بفضـل اتحـاد
جعلناه فى الـدهر رمز الخلـود

بـلادى العـزيزة خـير البـلاد
وقومـى سـلالة خير الجـدود

أولئـك أبطـال سـاح الجـلاد
ونحن الأبـاة شـبال الاسـود

بحـد الحديد وروح الشهيد
أقمنـا دعـائم عهـد جديد
سـيعليه عزم الشباب الشديد

الى مستوى أوج سبع شـداد
رفيع العمـاد منيـع الحـدود

بـلادى العـزيزة خـير البـلاد
وقومـى سـلالة خير الجـدود

أولئـك أبطـال سـاح الجـلاد
ونحن الأبـاة شـبال الاسـود

فيـابن العـروبة يا قـادر
أمـامك (مسـتقبل) زاهـر
وللمجـد هيـأك (الحاضر)

تقـدم ، فبالسـعى والاجتهـاد
كمـا كان للشرق (ماض) يعـود

أولئك أبطال ساح الجلاد
ونحن الكرام شبال الأسود

شعار البطولة والاتحاد
يرفرف كالصقر فوق البنود

ويخيل الينا من تعدد الأناشيد أن الشاعر غير راض عنها بدليل تكرارها وعلى كل فنحن ملزمون بأن ننشرها جميعا •



المطبعـــة الاهليــة ـ بنغــازى
١٩٧١

ونظرا لأننا لا نريد أن نهمل شيئا من آثار رفيق ســواء أكان نثرا أم شعرا فقد جمعنا ما كان منشورا فى بعض المجلات والجرائد وما وجد وعرفت نسبته له (كالحظ) وجعلناه أول الديوان وان كان اكثره متأخرا فى الزمن الا أننا حرصنا على اتصال الشعر ببعضه وانما سلكنا هذا الطريق لاننا طبعنا (الفترة الثالثة ثم الفترتين الرابعة والاخيرة) قبل الفترتين الاولى والثانية .

بقى شيء كنا نسمعه من قديم ولكنا لم نجد له اثرا ذلك هو محــاورة مع النصب التذكارى الذى كان مقاما فى (جليانة) وقــد نصبه الايطاليون تخليدا لذكرى نزولهم فى بنغازى عام ١٩١١ م وبداخله لوحة تحوى كثيرا من أسماء المغيرين من الجنود الايطاليين الذين سقطوا صرعى برصاص أبنــاء المدينة أول يوم من مهاجمتها ١٩ / ١٠ / ١٩١١ م فى أول ملاقاة فى جليانة .

وقد كنا نود لو بقى هذا النصب التذكارى فهو فخر لنا على كل حال ولــكنه ازيل كغيره من الاعمدة التذكارية فى ليبيا !!!

وسننشر ما يقع تحت يدنا من آثار الشاعر عندما نتحقق من صــحة نســبته .

اما بعد فهذا جهدنا القليل ادلينا به فى هذا المهرجان ونرجو ان نــكون قد أدينا بعض الواجب وان يكون بداية لا نهاية .

معـاني الـكلمات العـامية وغيرها في نثر وشعر رفيق

فـي هـذا الجـزء

المقـال	الصفحة	السطر	الـكلمة ومعنـاها
قسم وقف	٧	ما قبل الاخير	سى : مختصر سيدى
هلال رمضان	٢٨	١٢	(وقفه زفته) : صوابها وقعة أى موقف حرج
هلال رمضان	٢٨	١٢	يا سلاك الواحلين : يا مخلص من وقعوا فى ورطـة
هلال رمضان	٣٠	١	الروسى : صوابها الرومى
هلال رمضان	٣٠	١٧	جريح : صوابها جريـج
هلال رمضان	٣١	١	(الله لا يروعك) : دعاء له بالاطمئنان لان الموقف خطير
هلال رمضان	٣١	١٩	محششن : كلمة دارجة تقال للصائم فى رمضان عندما يثور لاتفه الاسباب ويرجع هذا الى عدم التدخين بسبب الصيام أو قلة النوم هذا معنى الكلمة فى الاصطلاح الليبى
هلال رمضان	٣١	٢١	عينى عينك بدون أدب ولا حياء وهى عبارة تفيد المواجهة .
هلال رمضان	٣٢	١١	الخضرة : كلمة تطلق على كل ما يلزم للبيت من حاجات الطعام سواء أكان فيهـا خضروات أم لا
ديوان ابن ذكرى	٣٣	ماقبل السطر الاخير	البازين وشرب اللاقبى : البـازين نـوع من الطعام عند الليبيين يتكون من دقيق يوضع فى القدر ومعه مقدار من المـاء الساخن وهو فوق النار ويحرك حتـى يصبح متماسكا وفيه شدة نسبية وبعد استواء هذه المادة يوضع فى القصعة على هيأة نصف كرة ويوضـع فوقـه المرق ويقتطع منه الآكل ويخلطه بالمرق ويشرع فى أكله أما (اللاقبى) فهـو عصـارة مستخرجة مـن قلب النخلـة المسـمى بالجمار وهو حلو واذا ما مكث مدة فانه يختمر ويصبح مسكرا (مثل العنب اذا عصر وترك مدة فانه يختمر) .
التطـوس	٤٢	٤	الحوت عليك : جملة تستعمل كتعويذة خوفا من العين على المعوذ (عند العامة) وشاعرنا استعملها سخرية من صديقه .

القـائل	الصفحة	السطر	الكلمة ومعنـاها
القطـوس	٤٤	١٨	(فأكلتها قرصة يهودى ولميت) : استعمال دارج يشبه تماما المثل المشهور : لو ذات سوار لطمتني (سقطت بعض الكلمات في الهامش فأعدناها هنا ليتضح المعنى)
القطـوس	٤٤	آخر السطر	صلاة القياد جمعة وأعياد : كناية عن الصلاة في المناسبات
القطـوس	٤٥	٣	(نقض على الجرح بعد نسيته) : شطرة من أغنية دارجة تصف ما أحدثه الجمال في نفس القائل ومطلعها : (سود الميامي ريتني ما ريته) نقض الخ سود الميامي : أسود العينين ريتني ما ريته : تمنى لو لم يره نقض على الجرح : فتح الجرح : أثار ما كان كامنا بعد أن نسيته ويقصد الشاعر أن استحمامه سبب له الألم
القطـوس	٤٥	٧	عصاى المشهورة : كانت للشاعر عصى تسمى مسعودة وكان يشبهها بعصى الحكم الاسدى الذى ذكره في صلب الموضوع
القطـوس	٤٥	١٦	طارت السكرة وحضروا المداينية : المداينية : أصحاب الدين ومعناها طارت السكرة وجاءت الفكرة
القطـوس	٤٦	٤	الدكتور بك : كان صديقا للشاعر كما يظهر من الكلام وهذا لقب كان يلقب بـه المرحوم الدكتور محمد الفيتورى وكان الطبيب العربي الوحيد في بنغازي ولد في طرابلس (بالظهرة أو سوق الجمعة) وتخرج من المدرسة العسكرية في تركيا وكانت اقامته ، عقب تخرجه ، في بنغازي تبعا للجيش التركي لم استقر به المقام ولم يغادرها الا الى مقره الاخير حيث انتهت حياته ودفن بمقبرة السيد محمد عبيد شرقي المدينة عام ١٩٤١ (أثناء الحرب الثانية) هذا الرجل كان أكثر من طبيب لانه عرف مهمته كما يعرفها كل شخص يؤمن بأن عليه دينا لمواطنيه يستحق الاداء وكان يمكنه أن يتبع الجيش التركي أثناء انسحابه ولكنه فضل البقاء للمساهمة في تخفيف ويلات الناس وما كان همه المال ولكن العمل على اصلاح الحال ولقد كان يرضى ضميره دائما لا يفرق بين غنـي وفقير سيان عنده تناول أجرا على عيادته

المقال	الصفحة	السطر	الكلمة ومعناها
			أو لم يتناول بل كان الاجر فى رأيه انه تسبب فى تخفيف ويلات الالم ولعل مناطق بنغازى الشعبية تعرف زياراته لهـا ومواساته لمرضاها وكان حجة فى الطب يعتمد عليه فى المشاورات الطبية حتى أن كبير أطباء مستشفى بنغازى (وكان بدرجة أستاذ) فى العهد الايطالى لا يعول على احد مثلما يعول على الدكتور الفيتورى فى التقارير الطبية وهذا بالرغم من أن النظرة الى الوطنى ليست بشىء ومع ذلك فقد كان للرجل احترامه وتقديره من الناحية العلمية وحبذا لو أن كليتنا الفتية وهى فى بنغازى تتذكر فضل هذا الرجل فتقيم لـه ما يشعر بقيمته العلمية ، هـذا الرجل لا يكفى مجرد كلمات عابرة فى حقـه بل الواجب أن تصنف الكتب من أجله اعترافا بجميله على البشرية فى بنغازى وتخليدا لذكراه العطرة رحمه الله فلقد كان فى منتهى التواضـع .
القطـوس	٤٦	٧	صبرنا لحكم الله غصبا عنا : من قصيدة عامية مشهورة لشاعر قديم يسمى السيد قنانة وهى مملوءة حكما نتيجة تجربة وخبرة
القطـوس	٤٦	٨	ايشبيك : كلمة دارجة معناها ماذا أصابك وأصلها (أى شىء بك)
القطـوس	٤٧	٢٠	شـفاعة : صوابها شناعة
القطـوس	٤٩	السطر الاول	الركيكنة : تصغير ركن وهو مكان يوجد فى شارع قصر حمد فى بنغازى اشتهر جلاسه بشدة ملاحظة من يمر أمامهم حتى ضرب بالمكان وبمن يجلسون فيه المثل فى ذلك. وقد زال المسمى وبقى الاسم والمثل السيد : لقب الشاعر . عضاته قطوس : عضـه القط . قعد محبوس : لم يخرج من بيته بسبب الالم ولم يتعود الجلوس فى البيت . تريح طول الليل يحوس : ارتاح من الخروج فى الليل وبقائه متغيبا عن البيت طول كل ليلـة ! يحـوس : يتنقل من مكان لآخر . والقصة واقعية

المقال	الصفحة	السطر	الكلمة وتصحيحها
			في جملتها . وقد صحبتها قصة أكبر هي قصة خروج الشاعر من البيت بعد شفائه وكيف أن اخوانه ابو الا أن يحملوه على الاعناق مرددين قطعة مشهورة عند اصحاب الزوايا مطلعها : (ياهل الشمايل شيلوني ننظر حبيبي بعيوني) وهكذا كان رفيق واصحاب رفيق رحم الله من مات واطال عمر الباقين فقد اوجدوا نوعا من الحياة لا وجود له الآن
القطنوس	٥٠	٣	(بزيادة صابلي) : اصطلاح عند أهل اللعب بالورق (الكارطه او الكوتشينا كما يقال في مصر) صابلي : اى بزيادة درجة والغرض ان الضحك سيزداد اكثر مما كان
القطوس	٥٠	٤	رجل فرجاني : رجل من قبيلة الفرجان كانت لهم شهرة في علاج من يصاب بالجنون وذلك بالكي بالنار (واحيانا يشفى المريض)
القطوس	٥١	١١	كفناه : صوابها كتناه
القطوس	٥١	١٩	عنهم : صوابها عندهم
القطوس	٥٢	١٥	اعق من هرة : لعل صوابها من هر

الحق مع رشيد

الحق مع رشيد	٦٠	١٦	لو ان تاتي : صوابها لو لم تات

لهذا المقال قصة تتلخص في أن الجبهة الوطنية البرقاوية عند تأسيسها عام ١٩٤٦ اختارت لها ثلاثة أشخاص لتنظيمها وللقيام بمهام السكرتارية وذلك في عام ١٩٤٧ ويظهر أن هذا التعيين لم يصادف هوى عند بقية الاعضاء ولذلك عملوا على تقويضها بأن أصبحوا يتصرفون بدون علمهم وعلى هذا استقال اثنان منهم بعد أن بينا سبب الاستقالة وهو لا يخرج عما ذكرنا وهما الاستاذ المرحوم محمد بن عامر والاستاذ محمد صالح الصابري ــ أطال الله في عمره ــ اما السكرتير الثالث وهو المرحوم الحاج رشيد منصور الكيخيا فقد تأخرت استقالته عن زميليه يومين أو ثلاثة بغية اقناع أعضاء الجبهة بأن تصرفهم غير صواب ولكنهم ــ لغرض ــ لم يأخذوا بوجهة نظره فاضطر للاستقالة تضامنا مع اخوانه بعد بيان السبب .

تطلب الامر الرد عليه فابدى رفيق رايه يقول : ان الحق مع رشيد وهذا هو سبب كتابة المقال الذى نشر فى العدد ٥٩ من جريدة الوطن الصادرة فى ٤ / ٢ / ١٩٤٧

لا افعـــال ولا اقـــوال

هذا المقال يرد به الشاعر على مدير المطبوعات زمن الادارة البريطانيـة فى ليبيا عام ١٩٤٧ بسبب نشره مقالا عنوانه « افعال لا اقوال » ردا على ما ينشر فى جريدة الوطن تنديدا بمسلك الادارة البريطانية فى برقة وان تصريح المسئولين فيها لا يخرج عن كونه ذرا للرماد فى العيون .

لم يرق هذا الكلام لمدير المطبوعات فى ذلك الوقت فكتب مقالا يبين ما فعلته وتفعله الادارة البريطانية لانه كان شديد التبرم من قول الجميع ان المكتب مكتب دعاية لبريطانيا وكان يقول انه مكتب نصيحة لا دعاية ومقال رفيق يوضح وجهة رأى المواطنين فيما يكتب .

اما لجنة العمل البريطانية فهى لجنة ارسلت من بريطانيا برآسة السير برنارد رايلى لدراسة الوضع فى ليبيا وتقديم تقرير عن ذلك للحكومة البريطانية يتضمن وجهة راى اللجنة وطلب دراسته للعمل بمقتضاه وكان ذلك فى أواخر ديسمبر ٤٦ وأوائل يناير عام ١٩٤٧ م .

المقال	الصفحة	السطر	الكلمة وتصويبها
الوزن والقافية	١٥	ماقبل الاخير	الشيصبان : الجان أو الشيطان الرجيم وقيل ابوحي من الجن (لسان العرب ج ١).
الوزن والقافية	١٦	١٨	الحسادين : صوابها الحدادين
طبل الحرب	٢١	٨	الكتب : صوابها المكتب
المتجبرنون	٢٦	١٢	لم اعرض : نعتقد انها لم اعرف
الوزن والقافية	١٧	١٠	الفزاري : صوابها النويري (مقدمة ابن‌خلدون)
القطوس	٥٨	١٨	نقز : استعمال دارج بمعنى قفز والغرض اجتاز الخطر من اثر المفاجأة
الى اللورد ملنر	٦٧		العنوان : الهامش فيه شيء من الابهام فان الثورة المصرية كانت كما ذكر في سنة ١٩١٩ ومجيء ملنر كان في عام ١٩٢١
حريق سوق الظلام	٦٩		يظهر أن التسمية لسوق الظلام لها سبب وهو أن السوق لم يكن كما هو الآن من حيث ارتفاع السقف ووجود المنافذ التي تبعث الضوء بعكس ما كان فقد كان السقف كله من الخشب بدون نوافذ فيه وبدون فتحات في الجدران تحت السقف ولهذا سمي بهذا الاسم وان ظلت التسمية حتى الآن ـ بحسب ما كان ـ وقد كان مركز البلاد من الناحية التجارية الى وقت قريب وان بدأت تنافسه أسواق أخرى بسبب توسع المدينة
رثاء الشيخ سليم	٧٠	الاول بعد العنوان	توفى ١٩١٩ : صوابها ١٩١٧ فتكون أول قصيدة له لا سابقتها : الى اللورد ملنر وانما ذكرناها لقصدين : ذكر كل ما وقع تحت أيدينا من شعر الشاعر . وعرض صورة قد تفيد في دراسة تطور شعر رفيق رحمه الله وعلى كل فخط الشاعر في هذه القصيدة غير واضح نظرا لتآكل الحروف لقدم الورق ولذلك نرى فيها كثيرا من الابهام
رثاء الشيخ محمد بن عامر	٧٣		وعلى ذكر مجلس الادارة زمن الحكم العثماني نذكر أنه كان يتكون من بعض أعيان المنطقة وكبار موظفي الدولة مثل المفتي والقاضي الشرعي والقاضي المدني ورؤساء الادارات في الولاية وهؤلاء أعضاء بحكم

مناصبهم أما الاعيان فينتخبون ويظهر أن اختيارهم كان لمركزهم الادبي والمادى بين مواطنيهم وهم من طبقات مختلفة بعضهم من تجار المدينة وبقية مدن برقة وبعضهم من الاعيان فى الحواضر والبادية. ويظهر أن لهذا المجلس صفة الزام بمعنى أن لـه تأثيرا فى شئون الولاية بدليل مشاركته فى أحوال المنطقة العامة عند حدوث نزاع بين الدولة والشعب واتخاذه صـفة تمرد وارسال الحكومة الحمـلات لتـأديب الخارجين على سلطتها وكثيرا ما يخرج الوالي ومعه بعض الاعيان للاشـتراك فى الحملة المرسلة .

وأيضا عند تقرير ضرائب محلية كـان المجلس يشارك فى ذلك وقـد قيل كثير من الشعر (العامى طبعا) سواء فـى الحملات العسكرية أو فى معارضة أرباب الحرف عند تقرير ما يرونه مجحفـا بحقهم .

وهكذا كانت الامور. وقد كان يوجد شيء من التذمر وان لم يكن واضحا خصوصا فى مسألة التوظيف فقد دابت الحكومة العثمانية على تعيين رؤساء المحاكم والادارة من غير المواطنين وكان هناك جماعة مـن المواطنين لـم يرق لهم ذلك لان مـن المواطنين من هو أجدر من أمثال هؤلاء بسبب كونهم أخبر من غيرهم بوضـع بلادهم وفى الامثال العامية : فحلها منها ولو كان أجرب .

ولما زال الحكم العثمانى بمجيء ايطاليا كان أكثر هؤلاء الذين كانوا فى مجلس الادارة العثمانى قد توفى ولم يبق الا من تقدمت به السن وكان من بينهم الشيخ محمد بن عامر وهو قاضى الولاية . وأيا ما كان فهو لسان الوطن المدافع عـن حقوقه وما قصر لحظة وكان يلجأ دائما الى التهديد بالهجرة من الوطن ما دامت الحكومة المحتلة تتدخل فى شئون الناس الدينية وكانت ايطاليا حديثة عهد فى كل شيء ولذلـك كانت تخشى مـن ثورة المسلمين ضـدها ! .

وظل مركز القاضى محترما وقد برز ذلك واضحا عند التفكير فى انشاء (الجمعية الخيريـة الاسـلامية لحفظ البنـات المسلمات) وكان صاحب الفـكرة هـو القاضى الشيخ محمد بن عامر ولم تقصر الحكومة فى أن تمد يد العـون بتكليف قوات المحافظة على الامن بأن ينفـذوا طلبات الجمعية فى سحب البنات المسلمات من بيوت غير المسلمين ووضعهن تحت تصرف الجمعية المذكورة مهما كانت صفة المخـدوم .

ترجع هذه الفكرة الى صيانة الفتيات اللواتى التجأن الى المدينة نتيجة الجدب الذى حل بالدواخل طلبا للقمة العيش والحاجة ترغم الانسان على ارتكاب كل ما يوفر له ما يسد به الرمق ولذلك أنشئت الجمعية لهـذا الغرض حيث يتعلمن بعض المهن مع المبادىء الاوليـة للتعليم ويكن فى أمان من العبث حتى زالت الاسباب الداعية لذلك وعاد من بقى منهن الى أهله بعد زوال المحنة . ولم يقتصر الامر على غير العرب فهم مثل غيرهم فى المعاملة فيهم الصالح وفيهـم الطالح وكان من نظام الجمعية الا تـسلم أى فتاة للخدمة عند عربى الا اذا كان رب عائلة وصاحب أخلاق بحيث يؤمن على الفتاة خوفا عليها واستمر هـذا الوضع حتى عام ١٩١٩ حيث انتهت الحرب وصلح حال الناس ووفد علـى المدينة كثير يبحثون عن أبنائهم الذين فرقت المجاعة بينهم .

ولم تكن الحياة كما هى الآن فى حاجة الى ملاجيء وامانات فالسكان قليلون ومطالب الحياة محدودة والغنى يعطف على الفقير من أقاربه وجيرانه .

ولم تكن أعماله هذه فقط فقـد رفض الموافقة على اعتبار ما يتحصل عليـه الجيش من المجاهدين من الاشياء التـى يباح التصرف فيها لانها مغتصبة . ولم يسمح بالفطر للمرتزقة بدعوى المشـقة وكان لذلك اثر عظيم . ولما مات عـام ١٩٢٢ كانت جنازته أعظم جنازة شهدتها المدينة . وقد أبنه الادباء ورثاه الشعراء وكان من بينهم شاعرنا رفيق الذى حاول أن يلمس هذه الجوانب .

أحمد رفيق

ولد عام ١٣١٨هـ. (شهر يناير ١٨٩٨م.) فى بلدة فساطو – حيث كان والده قائممقام هناك فى منطقة الجبل . وتعلم فى نالوت ثم فى مصراته وفيها درس الفرنسية وأخيرا رحل مع عائلته الى الاسكندرية زمن الحرب العالمية الاولى وأقام بها وفيها قال الشعر ثم عاد الى بنغازى وغادرها الى تركيا وأخيرا استقر فى بنغازى ١٩٤٦ حتى وفاته ١٩٦١ .

قال رفيق الشعر وهو فى العشرين ، ولم ينقطع عنه حتى أسكته القدر وهو فى الثالثة والستين ، فقدم رفيق فى هذه الفترة الطويلة للادب العربى ، عصارة قلب ، وتجارب نفس ، واحساسات انسان ، تعكس جهاد شعب ، وكفاح امة ، فى تراث خالد قلما نجده لشاعر سواه ، الا لمن كان منهم فى مستواه ، من أبطال الادب وعباقرة الشعراء .

كان رفيق شاعرا مبدعا من فحول الشعراء ، يترجم بالشعر عن الشعور ، فيرسله نغمات حالمة شجية ، أو جامحة فتية او رقيقة وفية ، أو ثائرة هائجة محطمة ، أو ماجنة معربدة خليعة ، أو ساخرة تذهب بالوقار . لا صناعة فيها ولا تصنع ، فرفيق (رحمه الله) حينما يقول الشعر ، لا ينظم النثر ، ولا يتكلف البديع ، ولكنه يسترسل على السجية ، فيجيء شعره ممتنعا على سهولته لقرب معناه ، وجزالة لفظه ، وابتعاده عن الغريب المهجور .

المطبعة الاهلية – بنغازى